إنعام النظر
في الدروس البيانية
والعبر المستفادة من سورة القمر

?عد??

أ. د / حامد محمد حامد عثمان

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية الشريعة والأنظمة

جامعة الطائف

المقدمة

الحمد لله الرحيم الرحمن، خلق الإنسان علمه البيان، والصلاة والسلام على من اختصّ بجوامع الكلم والبيان، وخُتِم به النبيون ، فكانت معجزته الكبرى القرآن، وشملت رسالته الإنسّ والجان .. محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين بإحسان .. أما بعد :

فمن اليقين الذي لا يقبل الجدل أن لإعجاز القرآن وجوهاً كثيرة ومظاهر عديدة تختلف قوتها باختلاف متذوقها والناظر فيها، كالوردة يختلف المعجبون بها والباحثون في محاسنها وإبداعها باختلاف أحاسيسهم واتجاهاتهم ، فمنهم من يُعجب بريحها الطيِّب ، ومنهم من يتعشّق لونها الجميل، ومنهم من يتلذّذ بطعمها ، ومنهم من تأخذه روعة تركيبها.. إلى غير ذلك من نظراتٍ مختلفة في أوجه الحُسن المتوافرة فيها. فبعضهم يرى : إعجازُه في البلاغة مع الإيجاز، وبعضهم يراه في بيانه وفصاحته، وبعضهم يراه في إخباره عن الغيوب، وبعضهم يراهُ في تأثيره على السامعين، وبعضهم يراه في احتوائه لكل العلوم.. إلى غير ذلك . وعلى كل الأحوال فقد أجمع أهل التحقيق على أن الإعجاز قد وقع بجميع ما قيل من الأقوال، لا بكل واحدٍ على انفراد ، فإنه شملها جميعاً فلا معنى لنسبته إلى واحدٍ منها بمفرده مع اشتماله عليها ، بل وغير ذلك مما لم يُسبق .

وقد كان لسورة القمر حظّها ونصيبها من هذه الوجوه الإعجازية المبهرة، فمن فصاحة وبيان، وإيجازٍ مع بلاغةٍ، إلى بديع وصفٍ ونظمٍ كالجُمان، مع إخبارٍ عن الغيوبِ ، وأسلوب يهُزّ المشاعر ويُرجِف الجنان ، له إيقاعٌ مشنّفٌ للأسماع ، لا يملهُ القارئ نائماً ويقظان ، وغير ذلك من الوجوه تحويها السورة الكريمة، تتضح في صُلب البحث لمن يقرأه بإمعان .

وللوقوف على هذه الوجوه وغيرها من الأسباب آثرتُ الكتابة في هذا الموضوع .

وانطلاقا من أدبيات البحث العلمي التي تنص على أن الدراسة الحالية (موضوع البحث) ينبغي أن تتقاطع مع الدراسات السابقة تقاطعا جوهريا من هنا فقد سبقني إلى الكتابة في هذاالموضوع ومن خلال هذه السورة المباركة

زميلي الدكتور / عبد الحميد هنداوي في بحثه الموسوم ب (سورة القمر دراسة سلوبية) محكم ومنشور بحولية جامعة الطائف العدد الثاني الجزء الأول ولا شك أنني أفدت منه الكثير والكثيركما هو ملاحظ من الإحالات عليه في الهامش ، لكن الزميل الفاضل وهو أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية تخصص بلاغة ونقد قد ركز في بحثه على إبراز الجوانب النحوية والصرفية والبلاغية بدقة و تفصيل كما عني بالدراسة الأدبية البحتة من حيث التناغم الصوتي وموسيقى الكلام والشواهد الشعرية الكثيرة وذلك بحكم تخصصه الدقيق، وهذا ولا شك يختلف عن منهجي في البحث فقد ركزت على عرض وإبرازبعض الصور البيانية واللطائف التفسيرية التي عني بها أهل التفسير فحسب لذا؛فالموضوعان يتقاطعان في محور الدراسة و يختلفان في التناول شكلا وأسلوبا بحكم اختلاف التخصص بيننا كما أن من أهم ما يميز بحثنا هوتناول بعض الدروس والعبروالوسائل التربوية والدعوية المتعلقة بقصص وحياة الأنبياء السابقين المحكي عنهم في السورة الكريمة وهذا مما خلا منه تماما بحث الزميل الفاضل .

أسباب اختيار الموضوع :

ومن أسباب اختيار سورة القمركذلك أنها من السور المكية التي تميزت بتعزيز الجانب الإيماني كثيراً، فقد جاءت مؤكدةً على أهمية التوحيد لله في ربوبيته وألوهيته، وإثبات البعث، والدار الآخرة، والأمر بمكارم الأخلاق ، وهذا مما ينبغي أن يُراعى في البيئات التربوية عموماً وفي إعداد منهجنا الإسلامي خصوصاً .

أهداف البحث :

١. التعرّف على سورة القمر وما تميزت به من خصائص وأغراض .
٢. الكشف عن الأساليب البيانية في عرض السورة.
٣. الكشف عن الوسائل التربوية في العظات والعبر التي اشتملت عليها موضوعات السورة الكريمة وحلقاتها .

هذا وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث وخاتمة .

المقدمة وفيها سبب اختيار الموضوع وأهدافه وخطته .

التمهيد ، وفيه التعريف بسورة القمر، وتحته فروع :

الفرع الأول : سبب نزول السورة .

الفرع الثاني :علاقة اسم السورة بموضوعها العام .

المبحث الأول : تقرير البعث والجزاء وتأكيده في ضوء الدروس المستفادة وتتمثل في الآيات من ١ـ٥ ، وتحته مطالب :

المطلب الأول : انتقاء الكلمة المناسبة وتوظيفها للدلالة على المعنى المقصود.

المطلب الثاني : التراكيب والأساليب البلاغية المسندة وأثرها في إبراز المعنى المقصود .

المبحث الثاني : ترهيب المكذبين بالبعث . وذلك في الآيات من (٦ . ٨) وتحته مطالب:

المطلب الأول : انتقاء الكلمة للدلالة على المعنى المقصود .

المطلب الثاني : التراكيب والأساليب البلاغية المسندة وأثرها في إبراز المعنى المقصود .

المبحث الثالث : بيان حال المكذبين من الأمم السابقة وسوء العاقبة. ويتمثل ذلك في الآيات (٩ . ٤٢) . وتحته خمسة مطالب .

المطلب الأول : عبر وأضواء من قصة نوح عليه السلام وهلاك قومه ومن كتاب مدرسة الأنبياء ، الآيات من ٩ . ١٧ .

المطلب الثاني : عبر وأضواء من قصة هود عليه السلام وهلاك قومه ، الآيات من ١٨ . ٢٢ .

المطلب الثالث : عبر وأضواء من قصة صالح عليه السلام وهلاك قومه ، الآيات من ٢٣ . ٣٢ .

المطلب الرابع : عبر وأضواء من قصة لوط عليه السلام وهلاك قومه ، الآيات ٣٣ . ٤٠ .

المطلب الخامس : عبر وأضواء من قصة إهلاك فرعون وآله ، الآيات ٤١ . ٤٢ .

المبحث الرابع : ترهيب الكافرين وتخويفهم بعاقبة المكذبين من قبلهم، الآيات من ٤٣. ٥٣ . وفيه مطلبان :

المطلب الاول : مناسبة هذه الآيات بما قبلها .

المطلب الثاني : الدروس والعبر المستفادة من الآيات .

المبحث الخامس : ترغيب وتبشير المؤمنين المتقين لربهم بالبعث في الآيتين ٥٤.٥٥

ونبين فيه الدروس والعبر المستفادة من الآيتين .

التمهيد : التعريف بسورة القمر :

وتحته فروع :

الفرع الأول : نزول سورة القمر – عدد آياتها – فضلها – سبب نزولها :

أولاً : سورة القمر هي السورة رقم (٥٤) بترتيب المصحف ورقم (٣٧) في ترتيب النزول[١] وهي سورة مكية كلها إلا الآيات (٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦) أي من قوله تعالى : "أم يقولون نحن جميع منتصر إلى قوله والساعة أدهى وأمر" قيل إنها مدنية [٢].

لكن جاء في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن قوله تعالى "بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر" القمر "٤٦" قد أنزلت في مكة وهي جارية تلعب" [٣].

يقول الشيخ عبد الرحمن حسن حنبكه : "وعلى هذا فالمدني منها إن صح فمقتصر على قوله عز وجل فيها "أم قولون نحن جميع منتصر . سيهزم الجمع ويولون الدبر"[٤].

قلت : "إن هذه الآيات خاصة مما ضربه العلماء مثلاً في بيان وجوه إعجاز القرآن الكريم بإخباره عن الأمور الغيبية وهو في تصنيفهم من الغيب الحاضر" [٥].

ولا يستقيم ذلك المثل إلا إذا قلنا بأن هذه الآيات مكية وليست مدنية، يؤيد ذلك ما رواه ابن أبي حاتم بسنده قال حدثنا أبوالربيع الزهراني حدثنا حماد بن أيوب عن عكرمة قال: لما نزلت "سيهزم الجمع ويولون الدبر" قال عمر: أي جمع يهزم؟ أي جمع يغلب؟ قال عمر فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثب

---

(١) معارج التفكر ودقائق التدبر للشيخ عبدالرحمن حسن الميداني ٣١١/٣ ط: دار القلم، دمشق، سوريا، ١٤٢٠هـ .

(٢) الإتقان للسيوطي ٣٦٥/١ .

(٣) صحيح البخاري في كتاب التفسير، باب قوله : (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) الكتب الستة ٤٩٤/١ ، حديث رقم (٤٨٧٦) .

(٤) معارج التفكر ودقائق التدبر ٣١١/٣ .

(٥) دراسات في علوم القرآن . د/ فهد الرومي، ص ٤٢٢ .

في الدرع وهو يقول "سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تأويلها يومئذٍ" [١] كما يؤيده أيضاً رواية البخاري عن عائشة ري الله عنها السابقة.

فلا يظنن أحد أن هذه الآيات مدنية استناداً إلى رواية البخاري الأخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال "وهو في قبة له يوم بدر "أنشدك عهدك ووعدك . اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم في الأرض أبداً" فأخذ أبو بكر ﷺ بيده وقال حسبك يا رسول الله ألححت على ربك، فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول "سيهزم الجمع ويولون الدبر"[٢] . فإن هذه الرواية دليل على عكس ما يقول المستند إليها أن الآيات مدنية بل الرواية دليل على أنها مكية ففي الرواية قوله ﷺ : "أنشدك عهدك ووعدك" دليل على أن الوعد بالنصر على الكفار كان مسبقاً ويحتمل أن تكون هذه الآيات أو غيرها من آيات الوعد بالنصر هو المعنى في دعائه ﷺ ويؤكد صحة هذا التأويل روايتي عائشة رضي الله عنها في البخاري ورواية عمر بن الخطاب ﷺ عند ابن عند ابن أبي حاتم السابقتين .

عدد آياتها :

وعدد آياتها (٥٥) آية باتفاق القراء [٣] .

فضلها :

أما عما ورد في السنة بشأن سورة القمر ، فقد روى مسلم عن أبي واقد الليثي قال: "كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيد بقاف واقتربت الساعة" [٤].

---

(١) الأثر بإسناده في ابن كثير ٢٤٠/٤ ط: المكتبة العصرية – لبنان الطبعة الثالثة ، عام ١٤٢٠هـ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التفسير باب (سيهزم الجمع ويُلون الدبر) ، الكتب الستة ٤٩٥/١، حديث رقم (٤٨٧٥) .

(٣) نفائس البيان في شرح الفرائد الحسان وعدّ آي القرآن للشيخ عبد الفتاح القاضي، ص١٦، ط: دار ابن الجوزي .

(٤) صحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين، باب ما يُقرأ في صلاة العيدين، الكتب الستة، ٩٠٤/١، حديث رقم (٨٩١) .

رابعاً : سبب نزول السورة :

روى البخاري بسنده عن انس ﷺ : "أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما" وفي رواية قال رسول الله ﷺ حنيئذٍ : "أشهدوا اشهدوا" وفي رواية ثالثة عن ابن مسعود : "فقالت قريش هذا سحر ابن أبي كبشة" (١) . قال: فقال انظروا ما يأتيكم به السفار، فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم. قال: فجاء السفار فقالوا ذلك (٢).

ورواه ابن جرير الطبري عن المغيرة بن شعبة به وزاد فيها "فأنزل الله عز وجل "اقتربت الساعة وانشق القمر" (٣).

وروايات انشقاق القمر آية لرسول الله ﷺ في أواسط العهد المكي من تاريخ بعثته بلغت مبلغ التواتر عند المحدثين (٤).

الفرع الثاني : موضوع السورة وهدفها العام :

يدور موضوع سورة القمر حول بيان الموقف العنادي المكابر الذي وقفه قادة كفار قريش من آية انشقاق القمر العظيمة، بعد أن طلبوا من الرسول ﷺ آية مادية كبرى تثبت صحة نبوته، وصدق رسالته، وبيان موقفهم العنادي من الأنباء الزاجرة التي سيق في نجوم التنزيل توجيهها لهم، وبيان الموقف الذي يوصي الله رسوله ﷺ بأن يتخذه معهم بعد أن وصلوا إلى حالة ميؤوس منها غالباً؟ وهو التولي والإعراض عنهم والاشتغال بآخرين لم يبلغوا بعد ما بلغ إليه هؤلاء من عناد ومكابرة ومعاداة لدعوة الحق الربانية .

وبعد هذا تشتمل السورة على معالجتهم ومعالجة أمثالهم بالترغيب و الترهيب والبيان الإقناعي (٥) يقول سيد قطب – رحمه الله – : "هذه السورة من مطلعها

---

(١) يعنون محمداً ﷺ نسبة إلى أبيه من الرضاعة زوج مرضعته حليمة السعدية .
(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله : (وانشق القمر) الكتب الستة ٤٩٤/١، حديث رقم (٤٨٦٤) .
(٣) جامع البيان ، للطبري ١٣٢/١٢، وتفسير ابن كثير ٢٣٦/٤ .
(٤) تدريب الراوي للسيوطي ٤٨١/١ .
(٥) معارج التفكر ودقائق التدبر ٣١٨/٣ .

إلى ختامها حملة رهيبة مفزعة عنيفة على قلوب المكذبين بالنذر بقدر ما هي طمأنينة عميقة وثيقة للقلوب المؤمنة المصدقة، وهي مقسمة إلى حلقات متتابعة، كل حلقة منها مشهد من مشاهد التعذيب للمكذبين، يأخذ السياق في ختامها بالحس البشري فيضغطه ويهزه ويقول له : "فكيف كان عذابي ونذر" ثم يرسله بعد الضغط والهز ويقول له "فكيف كان عذابي ونذر" .

ومحتويات السورة الموضوعية واردة في سور مكية شتى فهي مشهد من مشاهد القيامة في المطلع، ومطلع من هذه المشاهد في الختام، وبينها عرض سريع لمصارع قوم نوح، وعاد وثمود، وقوم لوط، وفرعون وملئه، وكلها موضوعات تذخر بها السور المكية ولكن هذه الموضوعات ذاتها تعرض في هذه السورة عرضاً خاصاً يجعلها جديدة كل الجدة فهي تعرض عنيفة عاصفة، وحاسمة قاصمة، يفيض منها الهول، ويتناثر حولها الرعب، ويظللها الدمار والفزع .

وأخص ما يميزها في سياق السورة أن كلاً منها يمثل حلقة عذاب رهيبة سريعة لاهثة مكروبة، يشهدها المكذبون، وكأنما يشهدون أنفسهم فيها، ويحسون إيقاعات سياطها، فإذا انتهت الحلقة وبدأوا يستردون أنفاسهم اللاهثة المكروبة عاجلتهم حلقة جديدة أشد هولاً ورعباً .

وهكذا تنتهي الحلقات السبعة في هذا الجو المفزع الخانق، فيطل المشهد الأخير في السورة، وإذا هو جو آخر ذو ظلال أخرى، وإذا هو الأمن والطمأنينة إنه مشهد المتقين ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ "القمر ٥٤-٥٥" (١) .

وخلاصة القول في المقصد العام لهذه السورة هو : قضية الإيمان بالله تعالى وإثبات النبوة والبعث، ويتكون هذا المقصد من عدد من المقاصد الفرعية التي تتلاحم فيما بينها في نسيج واحد للدلالة على هذا المقصد العظيم ، ويتضح ذلك تفصيلاً من خلال مباحث هذا البحث .

مباحث السورة :

١. تقرير البعث والجزاء وتأكيده . وذلك في قوله تعالى :

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب، ١٨/٦، ط: دار الشروق ، القاهرة .

﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ﴿٣﴾ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾﴾

٢. ترهيب المكذبين بالبعث. وذلك في قوله تعالى :

﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ﴿٧﴾ مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ ﴿٨﴾﴾

٣. بيان حال المكذبين من الأمم السابقة وسوء عاقبتهم :

أ / تكذيب قوم نوح :

وذلك في قوله تعالى :

﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴿١٠﴾ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ﴿١١﴾ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ﴿١٣﴾ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿١٥﴾ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿١٧﴾﴾

ب/ تكذيب عاد :

وذلك في قوله تعالى :

﴿كَذَّبَتۡ عَادٞ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ﴿٢٠﴾ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٢٢﴾﴾

ج/ تكذيب ثمود :

وذلك في قوله تعالى :

﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ ﴿٢٥﴾ سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٣٢﴾﴾

د / تكذيب قوم لوط :

وذلك في قوله تعالى :

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾

هـ/ تكذيب قوم فرعون :

وذلك في قوله تعالى :

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾

٤. ترهيب الكافرين وتخويفهم بعاقبة المكذبين به :

وذلك في قوله تعالى :

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾

٥. تقرير البعث وترهيب المكذبين به :

وذلك في قوله تعالى :

﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾

٦. ترغيب وتبشير المؤمنين بالبعث المتقين لربهم :

وذلك في قوله تعالى :

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۢ ﴿٥٥﴾﴾

المبحث الأول : تقرير البعث والجزاء وتأكيده والدروس المستفادة

يتمثل ذلك في الآيات من ١ . ٥ ، وتحته مطالب :

المقصد الأول : تقرير البعث والجزاء وتأكيده :

وذلك في قوله تعالى :

﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ۝٣ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ۝٤ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥﴾

حيث يؤكد الله تعالى أن الساعة التي يكذب بها هؤلاء الكافرون ويستبعدونها هي جدٌّ قريبة؛ حيث ظهرت إحدى آياتها الدالة عليها، وهي انشقاق القمر شقين ، وانفلاته فلقتين في صورة مادية واضحة للعيان، لا ينكرها إلا البهت والعميان .

ورغم ذلك فهؤلاء الكافرون معرضون جاحدون لأدلة الإيمان وبراهينه الساطعة. وهذا هو شأنهم وديدنهم وطبيعتهم التي دأبوا عليها من الجحود والعناد والاستكبار ﴿وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢﴾ . وتكذيبهم وعنادهم هذا ليس عن أدلة وبراهين تعارض ما جاء به الرسل؛ وإنما هو أتباع لأهوائهم الزائفة عن الحق والمعرضة عنه؛ وذلك رغم وضوح الحق واستقرار أمره، ورغم ما جاءهم من الأنباء الزاجرة بأحوال المكذبين من قبلهم وما حلَّ بهم من العذاب والنكال في حكمة بالغة مؤثرة، ولكن ما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون؟ أي : (فما تغن النذر) مع هؤلاء الكفرة[١].

(١) البحر المحيط،لأبي حيان الأندلسي ، ١٠/١٧٤ ط دار الفكر، بيروت . سورة القمر دراسة أسلوبية د/ عبد الحميد يوسف هنداوي ص ١٤١، بحث محكم ومنشور بمجلة جامعة الطائف ، المجلد الأول العدد الثاني، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .

المطلب الأول : انتقاء الكلمة ا لمناسبة وتوظيفها للدلالة على المعنى المقصود:

لاشك أن من وجوه إعجاز القرآن الكريم هو بيانه، وإن من أوجه البيان انتقاء الكلمة المناسبة دون مرادفها أو على أصح الأقوال أشباه مرادفاتها [١] للدلالة على المعنى المقصود ويتضح ذلك جلياً في التعبير بقوله تعالى ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ حيث اختير الفعل "اقترب" دون مرادفه (كدنى مثلا) لمقابلة استبعادهم هذا اليوم فكان ذلك التعبير هو المناسب .

ويؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ مما يوحي بدنو وقت الساعة التي يكذب بها الكافرون .

وفي التعبير ب (الساعة) : اختار التعبير بالساعة دون غيرها من أسماء القيامة الكثيرة، ودون التعبير باليوم مثلاً؛ وذلك لتقريب زمانها؛ والإيحاء بسرعة أمرها، خلافاً لما يعتقده المكذبون من استبعاد زمانها، كما قال تعالى :﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٧٧﴾ [٢] ، وقوله تعالى في هذه السورة :﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠﴾ [٣] ومن ثم تظهر النكتة بين التعبير على لسان الكافر المستبعد لها باليوم في قوله تعالى :﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦﴾ [٤]. حيث عبر عن استبطاء زمان وقوعها بأمور منها:

١. السؤال الذي جاء للاستبعاد والتهكم .
٢. لفظ (أيَّان) للدلالة على استبعاد الزمان، مع ما فيه من دلالة المدِّ .
٣. لفظ (يوم) الذي يناسب طول الزمان واستبعاده دون لفظ (الساعة).

---

(١) الوجيز في القول بالترادف والفروق في القرآن العزيز . للمؤلف بحث محكم ومنشور بجامعة الأزهر، كلية أصول الدين بطنطا العدد الثالث عشر عام ٢٠٠٤م، ١٤٢٤هـ .

(٢) النحل : ٧٧ .

(٣) القمر : ٥ .

(٤) القيامة : ٦ .

٤. لفظ (القيامة) الذي يدل على القيام بعد الرقود مما يناسب دلالة الاستبطاء والاستبعاد.

ومن ثم يظهر الإعجاز الأسلوبي للقرآن في اختيار لفظ (يوم القيامة) في الكلام على لسان المكذبين المستبعدين له، واختيار لفظ (الساعة) لبيان سرعة البعث في جواب المستبعدين له المستبطئين إياه[١] .

(انشق القمر) : اختيار الفعل (انشق) – بما له من دلالة حسية بصرية واضحة للعيان – جاء مناسباً للدلالة على وضوح هذه الآية البينية [٢].مع ملاحظة أن الفرق بين الفلق والشق:هو أن الفلق على ما جاء في التفسير هو الشق على أمر كبير ولهذا قال تعالى " فالق الاصباح " (الانعام :) ويقال فلق الحبة عن السنبلة وفلق النواة عن النخلة ولا يقولون في ذلك شق لان في الفلق المعنى الذي ذكرناه ومن ثم سميت الداهية فلقا وفليقة[٣]

كما أن التعبير بالقمر بما له من دلالة بصرية واضحة كذلك، وجعله مناط المعجزة لهو أقوى دليل على وضوح هذه الآية.

وأرى – والله أعلم – أن اختيار القمر مناطاً لهذه المعجزة دون الشمس إنما هو لكونه أمكن في الرؤية من الشمس لإمكان النظر إليه والتحديق فيه مع أمن الأذى للبصر دون أن يرتد البصر خاسئاً وهو حسير، وأيضاً "فإن العرب تضرب بالقمر مثلاً فيما وضح"[٤].

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٢ .

(٢) قال الطبري في تفسيره في هذه الآية : "وقوله (وانشق القمر) يقول جلّ ثناؤه: وانفلق القمر، وكان ذلك فيما ذُكر على عهد رسول الله ﷺ وهو بمكة، قبل هجرته إلى المدينة، وذلك أن كفار أهل مكة سألوه آية، فآراهم ﷺ انشقاق القمر، آية حجة على صدق قوله، وحقيقة نبوّته، فلما أراهم أعرضوا وكذبوا، وقالوا: هذا سحر مستمر، سحرنا محمد، فقال الله جل ثناؤه (وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) . وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار، وقال به أهل التأويل .

(٣) الفروق لأبي هلال العسكري ص ٢٤٣ طدار الكتب لعلمية –بيروت ١٩٩١ م

(٤) البحر المحيط ١٧٣/١٠ .

(وإن يروا آية يعرضوا) واختيار التعبير بـ (إن) الشرطية تفيد وقوع الإعراض منهم بمجرد حصول أدنى رؤية للآيات دون تحقق منهم واستبانة فثمة تلازم بين الرؤية والإعراض .

كما أن التعبير بالآية يدل على أنها علامة ظاهرة ودليل واضح على الحق، ومع ذلك فهم معرضون عن هذه الآيات.

كما أن التعبير بالإعراض يدل على مدى النفور والكراهية للحق والتولي عنه "والإعراضُ عن الشيء: الصدُّ عنه"(١) .

(ويقولوا سحر مستمر) : ادعاؤهم في القرآن بأنه سحر يتناسب مع ما يدعونه فيه من الكذب والتمويه .

"السحر: الأخذة التي تأخذ العين حتى تظن أن الأمر كما يرى" (٢)، كما أنه يتناسب بلا وعي منهم مع التعبير عن أثر هذا القرآن في نفوسهم، وأنه يفعل فيها فعل السحر من حيث كونها مأخوذة بأسر بيانه وإعجاز.

"وللعرب في السحر خيال واسع وهو أنهم يزعمون أن السحر يقلب الأعيان ويقلب القلوب ويطوع المسحور للساحر ولذلك كانوا يقولون إن الغول ساحرة الجن ولذلك تتشكل للرائي بأشكال مختلفة"(٣).

ويناسب ذلك وصف هذا السحر بأنه مستمر؛ إما من الاستمرار لبيان دوام أثره وعدم انقطاعه؛ لأن السحر يكون دوامه بدوام أثره؛ فإذا انتهى أثره بطل عمله وانقطع فعله، قال أبو حيان : "ويقولوا: (سحر مستمر): أي دائم، لما رأوا الآيات متوالية لا تنقطع، قالوا ذلك (١) واما من المرّة أي القوّة كما في قوله تعالى في وصف جبريل عليه السلام :﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾

(١) مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي عرض ، الناشر : مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت، ط١٤١٥هـ –١٩٩٥م ، تحقيق: محمود خاطر .
(٢) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده المرسي الضرير أبو الحسن علي بن إسماعيل، تح د عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ . مادة : سحر .
(٣) التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، ط الدار التونسية ٤٠٤/١ .

[٢] أي ذو قوة؛ فوصفوا هذا السحر بأنه سحر متمكن قوي فلا يسهل حله أو إبطاله [٣]، وهذا أيضاً يفيد دوامه واستمراره، ومن ثم ترجح اختيار هذه الكلمة على نظرائها لهذا السياق نحو (قوي، أو شديد) ونحوهما؛ وذلك لأن هذه الكلمة جمعت في معناها بين معنى القوة ودوام الأثر وغيرها من المعاني [٤].

(وكذبوا واتبعوا أهواءهم): أتبع وصفهم بالتكذيب الوصف بأنهم قد اتبعوا أهواءهم بياناً لعلَّة هذا التكذيب، وانه ليس عن برهان أو دليل معارض؛ ولكن لمجرد الهوى .

وعبّر بـ (اتبعوا أهواءهم) ليصورهم في صورة الأسير الذليل المنقاد للهوى المستسلم له دون بصيرة أو روية، وهي صورة فنية رائعة (استعارة مكنية) تجعل الهوى قائداً لهم وهم منقادون له في ذلة وصغار، كم أنها (كناية) كذلك عن وصفهم بالعمى والبهيمية والاستسلام والانقياد الأعمى لرغباتهم وأهوائهم .

---

(١) البحر المحيط ١٠/١٧٣ . وانظر :سورة القمر دراسة أسلوبية د/عبد الحميد هنداوي بحث محكم ومنشور بحولية جامعة الطائف العددالثاني ١٤٣٠هـ ص ٨٩

(٢) النجم : ٦ .

(٣) قال الطبري في تفسيره في هذه الآية : "وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يوجه قوله (مستمر) إلى أنه مستفعل منا لإمرار من قولهم : قد مرّ الجبل : إذا صلب وقوي واشتدّ وأمررته أنا: إذا فتلته فتلاً شديداً، ويقول : معنى قوله : (ويقولوا سحر مستمر) : سحر شديد" .

(٤) قال الرازي في تفسيره (مستمر) : "فيه وجوه أحدها: دائم فإن محمداً ﷺ كان يأتي كل زمان بمعجزة قولية أو فعلية أرضية أو سماوية، فقالوا: هذا سحر مستمر دائم لا يختلف بالنسبة إلى النبي عليه السلام بخلاف سحر السحرة، فإن بعضهم يقدر على أمر وأمرين وثلاثة ويعجز عن غيرها وهو قادر على الكل وثانيها : مستمر أي قوي من حبل مرير الفتل من المرة وهي الشدة وثالثها : من المرارة أي سحر مر مستبشع ورابعها: مستمر أي مار ذاهب، فإن السحر لا بقاء له. مفاتيح الغيب للرازي (ج١٤/ص٤٧٤).

(وكل أمرٍ مستقر) : اختار التعبير بـ (مستقر) للدلالة على ثبات الأمر ووضوحه فليس في الأمر اضطراب يدعو للشك أو القلق والتردد؛ بل (كل أمرٍ مستقر) أمر الإيمان بما يشتمل عليه من الحقائق الثابتة المستقرة، وأمر الكفر بما يشتمل عليه من الكذب والبهتان المستقر بطلانه وضلاله كذلك [١] .

(ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر) : أتى باللام وقد للتوكيد والتحقيق.

وعبر بالأنباء دون الأخبار: إما للإشارة إلى ورودها بطريق النبوة؛ فهي أكثر وثوقاً، وإما لعظمها وعلوِّ شأنها لاشتقاق النبأ من "النَّبِيء: الطريقُ الواضحُ، والمكانُ المرتفع" [٢].

وعبر بـ (مزدجر) لأن الزجر أدل على معنى الصرف لأنه يأتي بمعنى حسي هو الطرد والمنع الزَّجر: طرد بصوت ثم يستعمل في الطرد تارة وفي الصوت أخرى. وقوله تعالى : (فالزاجرات زجراً) أي الملائكة التي تزجر السحاب أي تسوقه سوقاً وهو مجاز . وقوله تعالى : (ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر) أي طرد ومنع من ارتكاب المأثم [٣].

---

(١) قال الرازي : "وقوله تعالى : (وكل أمر مستقر) فيه وجوه أحدها: كل أمر مستقر على سنن الحق يثبت والباطل يزهق، وحينئذٍ يكون تهديداً لهم، وتسلية للنبي ﷺ ، وهو كقوله تعالى: (ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم) (الزمر: ٧) أي بأنها حق ثانيها: وكل أمر مستقر في علم الله تعالى: لا يخفى عليه شيء فهم كذبوا واتبعوا أهواءهم، والأنبياء صدقوا وبلغوا ما جاءهم ، كقوله تعالى : (لا يخفى على الله مهم شيء) (غافر:١٦)، وكما قال تعالى في هذه السورة : (وكل شيء فعلوه في الزبر * وكل صغير وكبير مستطر) (القمر: ٥٢، ٥٣)، ثالثها: هو جواب قولهم : (سحر مستمر) أي ليس أمره بذاهب بل كان أمر من أموره مستقر. تفسير الرازي – (ج١٤/ص٤٧٥) .

(٢) القاموس المحيط ، الفيروزآبادي محمد بن يعقوب — ط الرسالة: نبأ .

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس ، المرتضى الزبيدي – ط دار إحياء التراث العربي – بيروت – مادة : زجر .

(حكمة بالغة فما تغن النذر) : وصف آيات الذكر التي جاءتهم بتلك الأنباء بأنها (حكمة بالغة) أي بالغة إلى القلوب مؤثرة في النفوس، فهي من البلوغ ومنه اشتقت البلاغة فقيل "رجل بليغ، وبَلغ، وبِلغ: حسن الكلام فصيحه، يبلغ بعبارة لسانه كُنه ما في قلبه"(١).

وعبر بالنُّذُر لأنها من النذارة، وهي التخويف؛ ومن ثم فهي أنسب لزجرهم(٢).

(١) المحكم والمحيط الأعظم : بلغ .
(٢) ومنه (تناذر) القوم أنذر بعضهم بعضاً شراً خوف بعضهم بعضاً منه".

المطلب الثاني : الأساليب والتراكيب البلاغية المسندة وأثرها في إبراز المعنى:

(اقتربت الساعة وانشق القمر) أسند الاقتراب إلى الساعة نفسها لا إلى زمانها مبالغة في إثبات القرب لها، وعطف على اقتراب الساعة انشقاق القمر، وهو آية من آيات اقترابها، فكأنه من باب ذكر الشيء مشفوعاً بدليله وبرهانه .

﴿ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ ﴾

إخبار عن حالهم فيما مضى بعد أن أخبر عن حالهم في المستقبل بالشرط الذي في قوله : (وإن يروا آية يعرضوا)[١] : أي من شأنهم وحالتهم أنهم متى رأوا ما يدل على صدق الرسول ﷺ من الآيات الباهرة أعرضوا عن الإيمان به وبتلك الآية.

وجاءت الجملة شرطية ليدل على أنهم في الاستقبال على مثل حالهم في الماضي[٢] ومقابلة ذلك بهذا فيه شبه احتباك كأنه قيل: وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا: سحر، وقد رأوا الآيات وأعرضوا وقالوا: سحر مستمر، وكذبوا واتبعوا أهوائهم وسيكذبون ويتبعون أهواءهم .

وعطف (واتبعوا أهواءهم) عطف العلة على المعلول لأن تكذيبهم لا دافع لهم إليه إلا اتباعُ ما تهواه أنفسهم من بقاء حالهم على ما ألفوه وعهدوه واشتهر دوامه[٣].

"والتنكير في الآية للتعظيم أي إن يروا آية قوية أو عظيمة يعرضوا"[٤].

وقوله تعالى : (وكل أمر مستقر) "هذا تذييل للكلام السابق من قوله : (وإن يروا آية يعرضوا) إلى قوله : (أهواءهم) القمر: ٢،٣، فهو اعتراض بين

---

(١) التحرير والتنوير ٢٢٥/١٤ . وانظر :سورة القمر دراسة أسلوبية د/عبد الحميد هنداوي بحث محكم ومنشور بحولية جامعة الطائف العددالثاني ١٤٣٠هـ ص ٩٣

(٢) البحر المحيط ١٧٣/١٠ .

(٣) التحرير والتنوير ٢٢٥/١٤ .

(٤) تفسير الرازي (ج١٤/ ص٤٧٤) .

جملة (وكذبوا) وجملة (ولقد جاءهم من الأنباء) (القمر:٤) ، والواو اعتراضية وهو جار مجرى المثل" (١).

"وقوله تعالى : (وكل أمر مستقر) استئناف مسوق للرد على الكفار في تكذيبهم ببيان أنه لا فائدة لهم فيه ولا يمنع علو شأنه ﷺ ، أو لإقناعهم عما علقوا به أمانيهم الفارغة من عدم استقرار أمره عليه الصلاة والسلام حسبما قالوا: (سحر مستمر) (القمر:٢) ببيان ثبوته ورسوخه أي وكل أمر من الأمور منته إلى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جملتها أمر النبي ﷺ فسيصير إلى غاية يتبين عندها حقيته وعلو شأنه، وللإشارة إلى ظهور هذه الغاية لأمره عليه الصلاة والسلام لم يصرح بالمستقر عليه" (٢).

"أي كل أمر لابد أن يصير إلى غاية يستقرّ عليها، وإن أمر محمد سيصير إلى غاية يتبين عندها أنه حق، أو باطل وسيظهر لهم عاقبته. أو وكل أمر من أمرهم وأمره مستقر، أي: سيثبت ويستقر على حالة خذلان أو نصرة في الدنيا، وشقاوة أو سعادة في الآخرة" (٣).

"و(كل) على هذا يجوز أن يرتفع بالابتداء والخبر محذوف، كأنه قال: وكل أمر مستقر في أم الكتاب كائن".

"ويجوز أن يرتفع بالعطف على الساعة، المعنى: اقتربت الساعة وكل أمر مستقر، أي اقترب استقرار الأمور يوم القيامة" (٤).

والمراد بالاستقرار الذي في قوله : (مستقر) الاستقرار في الدنيا .

---

(١) التحرير والتنوير (ج١٤/٢٢٥) .

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الألوسي: شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الألوسي . ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت (ج٢٠/ص٥٣) .

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، جار الله الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر، مصطفى الحلبي ، القاهرة ١٣٩٢هـ ، (ج٦/ ص٤٤٩) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبدالله، دار إحياء التراث العربي (ج١٧/ص١٢٨) .

وفي هذا تعريض بالإيمان إيماء إلى أن أمر دعوة محمد ﷺ سيرسخ ويستقر بعد تقلقله [1].

(ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر . حكمة بالغة فما تغن النذر).

عطف على جملة (وكذبوا واتبعوا أهواءهم) (القمر: ٣) أي جاءهم في القرآن من أنباء الأمم ما فيه مزدجر لهؤلاء، أو أريد بالأنباء الحجج الواردة في القرآن، أي جاءهم ما هو أشد في الحجة من انشقاق القمر. (ومن الأنباء) بيان ما فيه مزدجر قدم على المبين و(من) بيانية.. وجعل الازدجار مظروفاً فيه مجازاً للمبالغة في ملازمته له على طريقة التجريد كقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب:٢١) أي هو أسوة[2].

ومجيء هذه الجملة فعلية ماضية مؤكدة باللام وقد، معطوفة على جملتي : (وكذبوا واتبعوا أهواءهم) تظهر مفارقة واضحة بين ما هم عليه من التكذيب واتباع الأهواء وما تقتضيه تلك الأنباء الزاجرة والحكمة البالغة من الاتعاظ والتذكر.

"و(حكمة بالغة) بدل من (مَا) ، أي جاءهم حكمةٌ بالغة... وفرع عليه قوله : (فما تغن النذر) أي جاءهم ما فيه مزدجر فلم يُغن ذلك، أي لم يحصل فيه الإقلاع عن ضلالتهم، و(ما) تحتمل النفي، أي لا تغني عنهم النذر بعد ذلك. وهذا تمهيد لقوله : (فتول عنهم) (القمر:٦). فالمضارع (تغني) للحال والاستقبال، أي ما هي مغنية، ويفيد بالفحوى أن تلك الأنباء لم تغن عنهم فيما مضى بطريق الأحرى.

---

(١) التحرير والتنوير (١٤/ص٢٢٥) . وانظر :سورة القمر دراسة أسلوبية د/عبد الحميد هنداوي بحث محكم ومنشور بحولية جامعة الطائف العددالثاني ١٤٣٠هـ ص ٩٥

(٢) التحرير والتنوير (ج١٤/ص٢٢٧) . وانظر :سورة القمر دراسة أسلوبية د/عبد الحميد هنداوي بحث محكم ومنشور بحولية جامعة الطائف العددالثاني ١٤٣٠هـ ص ٩٧

ويحتمل أن تكون (ما) استفهامية للإنكار، أي ماذا تفيد النذر في أمثالهم المكابرين المصرين، أي لا غناء لهم في تلك الأنباء، فـ (ما) على هذا في محل نصب على المفعول المطلق ل (تغن)، وحذف ما أضيفت إليه (ما) . والتقدير: فأي غناء تغني النذر" (١).

وفي الآية أيضاً حذف مفعول الفعل (تغني) لدلالة العموم على القول بأنها نافية، أي فما تغني شيئاً .

(١) التحرير والتنوير (ج١٤/ ص ٢٢٧) .

المبحث الثاني : ترهيب المكذبين بالبعث :

وذلك في قوله تعالى :

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ۖ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾

في الآيات السابقة: جاء قوله تعالى : (فما تغني النذر) تمهيداً للأمر بالتولي والإعراض عنهم في هذه الآيات، بعدما ثبت من حالهم أنهم لا ينتفعون بالآيات والنذر والحكم البالغة؛ فلم يبق إلا تخويفهم وتهديدهم بسوء العاقبة التي تنتظرهم جزاء تكذيبهم بالبعث؛ ومن ثم راحت الآيات تصفُ لهم بعض مشاهد البعث، وتصوِّر لهم حالهم في هذا اليوم الفظيع وما ينتظرهم فيه من الأهوال.

المطلب الأول: انتقاء الكلمة للدلالة على المعنى المقصود :

ويظهر ذلك على مستويين :

١ـ على المستوى المعجمي: نجد توظيف الكلمات ذات الدلالة المعجمية المتناغمة مع المقصد السابق كما في الكلمات : (نُكُرٍ – خُشعاً – الأجداث – مهطعين – عسر) .

فكلمة (نكر) صفة نادرة تأتي للتعبير عن الشيء الفظيع المستنكر الذي لا مثيل له "قال الخليل: النكر نعت للأمر الشديد، والوجل الداهية، أي تنكره النفوس لأنها لم تعهد مثله، وهو يوم القيامة" .

قال مالك بن عوف النضري :

أقدم محاج أنه يوم نكر ..... مثلي على مثلك يحمي ويكر [١]

فلذلك وقع الاختيار على هذه الكلمة الغريبة لتعبر عن هذا اليوم العجيب.

(١) البحر المحيط : ١٠/١٧٤ .

واختار لوصف الأبصار (خُشَّعاً) تقريراً للذلة والخضوع عند معاينة الأهوال وذلك لأن "الخُشُوع في الصوتِ والبصر كالخضوع في البدن، واختشع: طأطأ رأسه رامياً ببصره إلى الأرض" (١).

وآثر التعبير بـ (الأجداث) على القبور لأن الجدث إنما يطلق على الحفرة التي يكون الميت فيها؛ فكأن في ذلك إشعاراً بحقارة أمره وما يؤول إليه: فيناسب سياق التبكيت لهؤلاء الكفرة، والجدث "المنجُوف: المحفور من القبور عرضاً غير مضرح، قال أبو زبيد :

.... إلى جَدَث كالغار منجوف

وقيل : هو المحفور أي حفر كان" (٢)

"والأجداث: جمع جَدث وهو القبر، وقد جعل الله خروج الناس إلى الحشر من مواضع دفنهم في الأرض، كما قال :﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ (طه:٥٥) فيعاد خلق كل ذات من التراب الذي فيه بقية من أجزاء الجسم وهي ذرات يعلمها الله تعالى" (٣).

والقبر يطلق على ما فيه تكريم للإنسان "ففي الصحاح" : القبرُ: واد القبور، والمَقبَرَةُ والمَقبُرَةُ بفتح الباء وضمها: واحد المقابِر.

قال ابن السكيت: أقبرتُهُ، أي صيّرت له قبراً يدفن فيه، وقوله تعالى : "ثم أماتَهُ فأقبَرَهُ"، أي جعله ممن يُقبَر، ولم يجعله يلقى للكلاب. ولا شك أن القبر مما أُكرم به بنو آدم" (٤).

---

(١) المحيط في اللغة (ج١/ص٨) .

(٢) المحكم والمحيط الأعظم (ج٣/ص٣٠٩) .

(٣) التحرير والتنوير (ج١٤/ص٢٢٩). وانظر :سورة القمر دراسة أسلوبية د/عبد الحميد هنداوي بحث محكم ومنشور بحولية جامعة الطائف العددالثاني ١٤٣٠هـ ص ١٠١

(٤) الصحاح في اللغة (ج٢/ ص٥٨) .

وعبر بـ (مُهطِعِينَ) للدلالة على شدة الخوف والفزع والهلع في ذلك اليوم، من قولهم : "هَطَعَ وأهطعَ فهو هاطِع ومُهطِع، إذا أقبل مسرعاً خائفاً، لا يكون ذلك إلا مع خوف؛ كذا يقول أبو عبيدة في قوله جل وعزّ: "مُهطعين إلى الدّاع" (١) ويقال : "هَطَعَ الرجل، إذا أقبل ببصره على الشيء لا يُقلِع عنه، يَهطَعُ هُطوعاً. وأهطَعَ، إذا مدَّ عنقه وصوَّب رأسه، وبعيرٌ مُهطِعٌ : في عنقه تصويبٌ خِلقَةً. وأهطَعَ في عدوه، أي أسرع" (٢).

قال الألوسي : (مُهطِعين إلى الدّاع) مسرعين إليه قال أبو عبيدة: وزاد بعضهم مادّي أعناقهم، وآخر مع هز ورهق ومدّ بصر .

وقال عكرمة : فاتحين آذانهم إلى الصوت، وعن ابن عباس ناظرين إليه لا تقلع أبصارهم عنه

وفي رواية أنه فسره بخاضعين وأنشد البيت، وقيل: خافضين ما بين أعينهم، وقال سفيان: شاخصة أبصارهم إلى السماء، وقيل: أصل الهطع مد العنق، أو مد البصر، ثم يكنى به عن الإسراع، أو عن النظر والتأمل" (٣).

وعبر بـ (عسر) لما فيه من دلالة واضحة على صعوبة هذا اليوم وعسره، ومعلوم أن العسر ضد اليسر، فهو عسر لا يسر فيه . "كما قال تعالى ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾ (المدثر: ٩، ١٠) يعني له عسر لا يسر معه (٤).

(١) جمهرة اللغة ، ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن ، تحقيق: رمزي البعلبكي ، عدد الأجزاء: ٣ الطبعة رقم : ١ الناشر : دار العلم للملايين – (ج٢/ص١٤) .
(٢) الصحاح في اللغة (ج٢/ ص٢٥٢) .
(٣) تفسير الألوسي (ج٢٠/ ص٥٩) .
(٤) تفسير الرازي (ج١٤/ص٤٨٠) . وانظر :سورة القمر دراسة أسلوبية د/عبد الحميد هنداوي بحث محكم ومنشور بحولية جامعة الطائف العددالثاني ١٤٣٠هـ ص ١٠٣

المطلب الثاني : التراكيب والأساليب البلاغية المسندة وأثرها في إبراز المعنى :

ففي قوله : "(فتول عنهم) الفاء للسببية.. والسبب عدم الإغناء" (١).

(يوم يدعو) "ولا يكون العامل في : (يوم يدعو) يخرجون بل اذكروا، أو : (فما تُغني النذر) كما قال تعالى : ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ (المدثر:٤٨) ويكون يخرجون ابتداء كلام" (٢).

(خُشَّعاً أبصارهم) حال من الخارجين فعل للأبصار (٣) أي "حال من فاعل (يُخرِجُون) أي يخرجون (من الأجداث) أي القبور أذلة أبصارهم من شدة الهول أي أذلاء من ذلك، وقدم الحال لتصرف العامل والاهتمام" (٤) أي قدم على الأبصار للاهتمام ببيان هذا الحال الذي هو دليل الذلة والانكسار .

و(مهطعين) حال كذلك من الخارجين، وكلا الحالين الأولى والثانية ترسم صورة هؤلاء الخارجين للحشر وما هم عليه من الفزع والهلع والخوف الشديد مع ما هم فيه من الذلة والانكسار .

"وجملة : (يقول الكافرون هذا يوم عسر) في محل نصب على الحال من ضمير (مهطعين) ، والرابط مقدر، أو مستأنفة جواب سؤال مقدّر؛ كأنه قيل: فماذا يكون حينئذٍ" (٥).

"ووصف اليوم بـ (عسر) وصف مجازي عقلي باعتبار كونه زماناً لأمور عسرة شديدة من شدة الحساب وانتظار العذاب" (٦) .

---

(١) تفسير الألوسي (ج٢٠/ ص٥٧) .
(٢) تفسير الرازي (ج١٤/ ص٤٧٩).
(٣) الكشاف (ج٦/ ص٤٥٠) .
(٤) تفسير الألوسي (ج٢٠/ ص٥٨) .
(٥) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، الشوكاني محمد بن علي بن محمد، ط٣، مصورة ١٩٧٣م (ج٧/ ص٨٩) .
(٦) سورة القمر، دراسة أسلوبية د/ عبد الحميد هنداوي، ص ١٤٨ .

المبحث الثالث : بيان حال المكذبين من الأمم السابقة وسوء عاقبتهم :

وذلك في الآيات من (٩ . ٤٢) :

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ ﴾

بدأت السورة الكريمة بتأكيد البعث وتقريره، وثنت بذكر بعض مشاهد البعث وحال المكذبين في ذلك اليوم ترهيباً لهم، ثم عرضت السورة بعد ذلك في هذا المقصد لأحوال المكذبين بالبعث من الأمم السابقة وما نزل بهم من العذاب والنكال في الدنيا قبل الآخرة حتى يكون في ذلك عبرة لهؤلاء المكذبين في زمان النبي ﷺ ومن بعدهم، فعددت ما حدث لقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم فرعون، وقد كانوا أشد منهم وأكثر قوة وآثاراً في الأرض فما أغنى عنهم ما

كانوا يكسبون، وذلك كله لا يخرج عن الخط الأساسي لهذه السورة الكريمة في تقرير قضية الإيمان بالله تعالى ورسله وتقرير قضية الحساب والجزاء والبعث و الرجوع إلى الله تعالى؛ فهي تارة تبين ذلك بذكر الآيات الدالة عليه كانشقاق القمر، وتارة ترهب المكذبين به بما ينتظرهم في الآخرة، وفي هذا السياق ترهيب لهم بما ينتظرهم في الدنيا؛ وذلك لأن سنة الله في إهلاك المكذبين والمعاندين لرسله لا تختلف أبداً، وهذا ما يؤكده الله تعالى في ختام هذا العرض لأحوال المكذبين؛ حيث يقول في حق المكذبين في زمان النبي ﷺ

في المبحث الرابع : ترهيب الكافرين وتخويفهم بعاقبة المكذبين من قبلهم:

﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾

ومن ثمّ يعود في المبحث الخامس إلى تقرير البعث وترهيب المكذّبين به .

﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾

وينهي سياق السورة كذلك بتتميم حسن غير بعيد عن السياق وهو :

المقصد السادس :

ترغيب وتبشير المؤمنين بالبعث المتقين لربهم :

وذلك في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾

وإليك التحليل الأسلوبي للوسائل التعبيرية في الآيات السابقة :

١. على المستوى المعجمي :

نجد توظيف الكلمات ذات الدلالة المعجمية المتناغمة مع المقاصد السابقة كما في الكلمات : (عبدنا – ازدجر – فتحنا – أبواب السماء – منهمر – ضلال وسُعُر – أُلقي – أشِر – مستمر – بطشتنا – عزيز – مقتدر – يولون الدبر – أدهى وأمرُّ – سقر – كلمح) .

كلمة (عبدنا) في قوله تعالى: (فكذبوا عبدنا) تدل على دلالات ومعان بليغة تستفاد من دلالتها المعجمية، فكونه ﷺ عبدا لله – و الله تعالى هو الذي يقرر له هذه العبودية، ويضيفها إلى ذاته العظيمة، بالإضافة إلى (نا) التي للتعظيم – كلُّ هذا يدل على ضرورة الإيمان به وعدم تكذيبه؛ لأنه عبد لله تعالى لا يأتي بشيء من قبل نفسه.

وأيضاً فإن كونه عبد الله يقتضي كونه في قبضته يستحيل عليه الافتراء على الله ثم لا يأخذه بجريرته .

وأيضاً فإن كونه عبدالله تعالى مطيعاً له مرسلاً برسالة من قبله، وقد كذبه هؤلاء؛ فإن هذا يقتضي غضب الله وسخطه وغيرته لعبده والانتصار له؛ ففيها تعريض باستحقاق العقوبة التالية التي ستقرع مسامعهم في الآيات التالية (جزاء لمن كان كفر) يقول (ازدجر) الزجر هو الانتهار وقد يكون بالشتم والضرب والوعيد ونحوه، قال الزمخشري: "(وازدجر) أي: وانتهروه بالشتم والضرب والوعيد بالرجم في قولهم ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾ (الشعراء: ١١٦) وقيل: هو من جملة قيلهم، أي: قالوا هو مجنون، وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه وطارت بقلبه" (١).

واختير لفظ الزجر لما يدل عليه من أنواع من الأذى الحسي والمعنوي يشتمل الزجر عليها، بياناً لما أصاب نبي الله ﷺ من إيذاء قومه له .

ماء منهمر: قال الزمخشري: "ماء منهمر، وهمره: صبّه. وسحاب هامر. وهمرت عينه بالدمع وهملت، ومن المجاز: همر في كلامه: أكثر. وخطيب مهمر. وفلان مهذار مهمار" (٢).

فمن ثم اختير التعبير بهذه اللفظة منهمر لدلالتها على كلٍّ من الصبِّ والكثرة؛ فدلت على أنه ماء كثير ينصبُّ صباًّ.

ويساعد على معنى الكثرة كذلك التعبير بقوله (فتحنا) وقوله (أبواب السماء) فهي أبواب مفتوحة ينصب منها الماء صباً.

قال الرازي في هذا الموضع :

"المسألة الأولى : قال في السماء ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾ (القمر:١١) لأن السماء ذات الرجع وما لها فطور، ولم يقل: وشققنا السماء، وقال في الأرض : (وفجرنا الأرض) لأنها ذات الصدع.

الثانية : لما جعل المطر كالماء الخارج من أبواب مفتوحة واسعة، ولم يقل في الأرض وأجرينا من الأرض بحاراً وأنهاراً، بل قال : (عُيُوناً) والخارج

(١) الكشاف (ج٦/ ص٤٥١). وانظر :سورة القمر دراسة أسلوبية د/عبد الحميد هنداوي بحث محكم ومنشور بحولية جامعة الطائف العددالثاني ١٤٣٠هـ ص ١٠٦

(٢) أساس البلاغة (ج٢/ ص٥) .

من العين دون الخارج من الباب ذكر في الأرض أنه تعالى فجرها كلها، فقال : (وفجرنا الأرض) لتقابل كثرة عيون الأرض سعة أبواب السماء فيحصل بالكثرة ههنا ما حصل بالسعة ههنا [١]" .

ضلال وسُعُر: وردت هاتين الكلمتين في هذه السورة مرتين :

ففي الموضع الأول : "(إنا إذاً لفي ضلال) أي ذهاب عن الصواب (وسعر) أي جنون، من قولهم: ناقة مسعورة، أي كأنها من شدة نشاطها مجنونة، وفي الموضع الثاني : (إن المجرمين في ضلال وسعر) أي في حيدة عن الحق و(سعر) أي احتراق [٢].

"وفي قوله تعالى : (ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً) قيل: معنى : (إلا ضلالاً) إلا عذاباً: كذا قال ابن بحر، واستدلّ على ذلك بقوله : (إن المجرمين في ضلال وسعر) . وقيل: إلا خسراناً. وقيل: إلا فتنة بالمال والولد. وقيل : الضياع. وقيل: ضلالاً في مكرهم [٣]".

فنلاحظ في هاتين الآيتين المشاكلة بين قوله تعلى على لسان المجرمين : "إنا إذاً لفي ضلال وسعر"، وقوله تعالى : عن عذاب المجرمين في الآخرة "إن المجرمين في ضلال وسعر" .

فالألفاظ واحدة ولكن المعنى مختلف بين ما وصفوا به أنفسهم لو اتبعوا رسولهم عليه السلام، وبين ما نزل بهم من العذاب في الآخرة بسبب تركهم اتباع نبيهم.

فقد وصفوا أنفسهم بأنهم يكونون على الضلال بمعنى مجانبة الحق والصواب، وأنهم في جنون لو اتبعوا رسولهم الذي وصفوه بالجنون والضلال؛ فأثبت الله لهم الضلال والسعر بسبب ترك اتباع نبيهم؛ فكان ذلك تكذيباً لهم

(١) تفسير الرازي (ج١٤/ص٤٤٨) .
(٢) فتح القدير (ج٧/ ص٩٨). تفسير القرطبي (١٧/ص ١٤٧).
(٣) السابق (ج٧/ ص٣١٧) . وانظر :سورة القمر دراسة أسلوبية د/عبد الحميد هنداوي بحث محكم ومنشور بحولية جامعة الطائف العددالثاني ١٤٣٠هـ ص ١٠٩ ومابعدها

ورداً لكلامهم، فهم في ضلال وسعر في الآخرة، وهو العذاب والحريق؛ بسبب ما كانوا فيه من ضلال وسعر في الدنيا، وهو مجانبة الحق والتخبط والضلال.

وهذا الوصف – جاء أيضاً – انتصاراً لنبيهم الذي قالوا عنه "مجنون وازدجر".

كما نلمح كذلك تكرر كلمة (أشر) ومعناها تكبر وبطر عنا لحق؛ لأن "الأشر: البطرُ [(١)]" . وقد تكررت على سبيل المجازاة والمعاقبة بين :

قوله تعالى : (أءلقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر) .

وقوله تعالى: (سيعلمون غداً من الكذاب الأشر) .

فوصفهم الله تعالى بما وصفوا به نبيهم على سبيل المجازاة والمعاقبة لأنهم أولى بهذا الوصف وأحق به من نبيهم، وهو بريء منه تمام البراءة، بل هو مستحيل عليه.

وقوله تعالى : أألقي : "قولهم أألقي بدل أأنزل وفيه إشارة إلى ما كانوا ينكرونه من طريق المبالغة وذلك لأن الإلقاء إنزال بسرعة" [(٢)].

فاختير الفعل (ألقي) كأن من بين المستنكر في زعمهم كون الوحي إلقاء سريعاً، أو كأنهم استنكروا سرعة إعلانه بنزول الوحي عليه؛ فلذا عدوه إلقاء سريعاً غير معهود لدى الرسل السابقين ثم راحوا يستنكرون ذلك منه.

(مستمر) : الكلمة واضحة من جهة الدلالة المعجمية على الاستمرار والثبوت، وتتآزر معها في الدلالة على الاستمرارية والثبوت كلٌّ من الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية .

قال الرازي : "ما معنى (مستمرٌّ)؟ نقول فيه وجوه الأول: ممتد ثابت مدة مديدة من استمر الأمر إذا دام، وهذا كقوله تعالى : ﴿فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ ١٦﴾ (فصلت: ١٦) لأن الجمع يفيد معنى الاستمرار والامتداد ، وكذلك قوله : (حسوماً) (الحاقة:٨) الثاني: شديد من المرة كما قلنا من قبل في قوله : ﴿سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾ (القمر:٢) وهذا كقولهم أيام الشدائد، وإليه الإشارة بقوله

(١) الصحاح في اللغة (ج١/ص١٤) .
(٢) تفسير الرازي (ج١٥/ص٣).

تعـــــالى :﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ ﴾ (فصلت:١٦) فإنه يذيبهم المر المضر من العذاب" [١].

"(بطش) البطش التناول بشدة عند الصّولة والأخذُ الشديد في كل شيء" [٢].

فإذا كان البطش هو الأخذ الشديد، وكان هذا البطش منسوباً إلى الله تعالى بضمير العظمة دلّ ذلك على شدَّة هذا الأخذ المنسوب إلى ذي القوة والجبروت.

طمسنا : (فطمسنا أعينهم) "أي: صيرنا أعينهم ممسوحة لا يرى لها شقّ، كما تطمس الريح الأعلام بما تسفي عليها من التراب. وقيل: أذهب الله نور أبصارهم مع بقاء الأعين على صورتها. قال الضحاك: طمس الله على أبصارهم، فلما يروا الرسل" [٣].

وهذا يدل على شدة ما نزل بهم من العذاب .

عزيز – مقتدر : جمع سبحانه في وصف ذاته العلية في بيان شدَّة أخذه لهم بعين العزَّة والقدرة.

"العَزِيزُ من صفات الله عز وجل وأَسمائه الحسنى قال الزجاج هو الممتنع فلا يغلبه شيء وقال غيره هو القوي ا لغالب كل شيء وقيل هو الذي ليس كمثله شيء ومن أسمائه عز وجل المُعِزُّ وهو الذي يَهَبُ العِزَّ لمن يشاء من عباده والعزُّ خلاف الذُّل ... والعِزُّ في الأصل القوة والشدة والغلبة والعِزُّ والعِزَّة الرفعة والامتناع، والعِزَّة لله وفي التنزيل العزيز ولله العِزَّةُ ولرسوله وللمؤمنين أي له العِزَّة والغلبة سبحانه" .

وإذا كان العزيز هو القوي الغالب كل شي، فالجمع بينه وبين المقتدر يفيد تمام القدرة والغلبة ، وفي هذا من الترهيب لهؤلاء المكذبين ما فيه، أن يحلَّ بهم مثل ما حلَّ بأسلافهم .

---

(١) السابق (ج١٤/ص٤٩٦).
(٢) لسان العرب(ج٦/ص٢٦٧).
(٣) فتح القدير (ج٧/ص٩٦).

يولون الدبر : الجمع بين التولي والإدبار يبين مدى ما نزل بهم من الخوف والفزع، فاتباع التولي بالإدبار إنما هو بمثابة التوكيد لمعنى الفرار والإدبار.

سَقَرَ: "السقرُ: أن توشعَ بالحطب على رحلك وتزملها للمنع منه" (١) "والسقر، يقال منه: سقرته الشمسُ تسقُره سقراً، إذا حميت على دماغه فآلمته. وقد حُكي صقرته، بالصاد: ومنه اشتقاق اسم سَقَرَ، والله أعلم" (٢).

فمن ثم اختير التعبير بهذا اللفظ للدلالة على شدَّة إحماء هذه النار واشتداد لهيبها.

أدهى وأمرُّ: جمع في وصف الساعة بين الدهاء والمرارة؛ فهي داهية ما بعدها داهية، ولصعوبتها وشدَّة أهوالها وكثرتها وصفها فوق ذلك بالمرارة؛ فكأن لعذاب هذا اليوم طعماً شديد المرارة يجده الكافر من شدَّة عذاب ذلك اليوم.

كلمح بالبصر : يقال : "لَمَحهُ وألمحَهُ، إذا أبصره بنظر خفيف. والاسم اللَمحةُ. ولَمَحَ البرقُ والنجمُ لَمحاً، أي لمع. تقول: رأيت لمحَةَ البرقِ"(٣).

وهذا كلُّه يدلُّ على سرعة أمر الله تعالى في مجيء هذا اليوم، ما يزيد في وعيدهم وترهيبهم من سوء العاقبة .

وحملناه على ذات ألواح ودسر:

"أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن ابن عباس (على ذات ألواح ودسر) قال: الألواح: ألواح السفينة، والدسر: معاريضها التي تشد بها السفينة. وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عنه أيضاً في قوله : (ودسُر) قال: المسامير" (٤).

(١) المحيط في اللغة (ج١/ص٤٤٨) .
(٢) جمهرة اللغة (ج١/ص٣٩٠) .
(٣) الصحاح في اللغة (ج٢/ص١٤٨) .
(٤) فتح القدير (٧/ص٩٢) . والاحاديث اخرجها السيوطي في الدر المنثور ١٤٩/٦ وما بعدها

عبر بذات الألواح ودسر كناية عن السفينة؛ فهي كناية عن موصوف، ولعل الغرض من التعبير بهذه الكناية بيان حقارة السبب الذي أنجاهم الله به؛ ليظهر أثر القدرة الإلهية، وأن نجاة نوح ومن معه كانت بتلك القدرة المقتدرة لا بتلك الأسباب الواهية.

أما على المستوى الصرفي :

نجد جمال التوظيف الفني للصيغ الصرفية المختلفة لتحقي التناسب التام بين هذه الصيغ والمعاني التي تعبر الآيات عنها.

نجد ذلك على سبيل المثال في صيغ الكلمات التالية :

(ازدجر – منهمر – مستمر – منقعر – مدكر – مقتدر – جميع منتصر – صرصرا – كدأب – أشر – ارتقبهم – واصطبر – تنزع – فتعاطى –صيحة واحدة)

ازدجر "قيل إنما قال : (وازدجر) بلفظ ما لم يسم فاعله لأنه رأس آية" (١).

والحق أن التعليل برعاية الفواصل دون بيان المناسبة للمعنى ليس مما تقتضيه البلاغة، والمحققون من البلاغيين على رفضه؛ فلابد إذاً من التعليل بغيره؛ فالأولى – والله أعلم أن يقال إنه أريد به العموم أو الإبهام، أي ازدجر من كلٍّ من مكذبي قومه، أو ازدهر لا من شخص بعينه، وهذا أيضاً يدل على كثرة الزاجرين وترددهم.

هذا على القول بأن المقصود أنه قد ازدجر من قومه، أما على القول الآخر الذي يذهب إلى إصابته بالمس والجنون من الجن؛ فكأن الفاعل قد حذف لشيوع العلم به.

توظيف اسم الفاعل كما في :

مقتدر – منهمر – مستمر – منقعر – مدكر – جميع منتصر

(١) تفسير القرطبي (ج١٧ ص ١٣١).

مقتدر "معنى اقتدر أقوى من معنى قدر قال الله تعالى : "فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر" فمقتدر هنا أبلغ من قادر، وإنما عدل إليه للدلالة على تفخيم الأمر وشدة الأخذ الذي لا يصدر إلا عن قوة الغضب، أو للدلالة على بسطة القدرة ، فإن المقتدر أبلغ في البسطة من القادر، ذلك أن مقتدراً اسم فاعل من اقتدر، وقادر اسم فاعل من قدر، ولا شك أن افتعل أبلغ من فعل." (١).

والتعبير باسم الفاعل عموماً أقوى من التعبير بالفعل؛ فهو وإن كان فيه من الفعلية الدلالة على الحدث؛ فإن فيه كذلك دلالة الاسم التي تفيد الثبوت؛ ومن ثم اختير التعبير باسم الفاعل للدلالة على الثبوت في كلٍّ من : (منهمر – مستمر – منقعر – مدكر – جميع منتصر) .

فمنهمر: أفاد ثبوت انهمار الماء ودوامه فهو صبٌّ كثير دائم متصل.

ومستمر: أفادت استمرار ذلك النحس ودوامه بكلّ من الدلالة المعجمية، والصوتية، والصرفية، والنحوية كما سبق بيان كلٍّ في موضعه، وقد كان ذلك على سبيل المشاكلة والمعاقبة لوصفهم ما جاء به نبيهم بأنه (سحر مستمر) .

ومنقعر : أفادت ثبوت ذلك الانقعار ودوامه كذلك.

ومدَّكر: أفادت طلب التذكر على الدوام والثبوت عليه؛ لأن هذا هو ما ينفع العبد على الحقيقة؛ لأن قليل التذكر لا ينفع؛ ولهذا لم ينف سبحانه قليله عن الكافرين والمكذبين فقال في حقهم : (قليلاً ما تذكرون) (٢).

جميع منتصر: وصف الكافرون أنفسهم وحزبهم بأنهم جميعٌ منتصرٌ؛ فعبروا باسم الفاعل لزعمهم ثبوت ذلك الانتصار لجمعهم ودوامه.

صرصراً: جاءت هذه الصيغة للاسم الرباعي المضعف، وهو عبارة عن مقطعين مكررين، مما يفيد تتابع هذه الرياح بما تشتمل عليه من الصفق

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (ج١/ ص١٦٩) . وانظر :سورة القمر دراسة أسلوبية د/عبد الحميد هنداوي بحث محكم ومنشور بحولية جامعة الطائف العددالثاني ١٤٣٠هـ ص ١١٢

(٢) الأعراف: ٣، النمل: ٦٢، الحاقة : ٤٢ .

والضرب لكل شيء، ويظهر الإعجاز في اختيار هذه الكلمة الموحية بشدَّة البرد في هذه الريح الباردة العقيم؛ حتى لكأنك تسمع فيها صرير الأسنان وحركاتها المتتالية، يوحي بها هذا التكرار والتضعيف في مقطعي الكلمة (صر – صر) الذي يوحي لك بصرير كل شيء من حركة هذه الرياح وشدتها.

كذَّابٌ أشر: جاءت الكلمة الأولى على صيغة المبالغة (فعال) التي تدلُّ على المبالغة في وصف نبيهم بالكذب، تلتها الصفة المشبهة (فعل) التي تفيد الثبوت والدوام على تلك الصفة صفة نبيَّهم بالكذب، تلتها الصفة المشبهة (فعل) التي تفيد الثبوت والدوام على تلك الصفة صفة الأشر والبطر ومجانبة الحق؛ ولذا فقد ردَّ الله تلك الصفات عليهم فقال: (سيعلمون غداً من الكذاب الأشر) .

ارتقبهم – واصطبر: جاءت الكلمتان على صيغة (افتعل) التي تفيد تكلف الشيء وحمل النفس عليه، ففيها تصبير للنفس في ارتقاب ما ينزل بهؤلاء الكافرين من سوء الجزاء، وحمل النفس على الصبر على سوء صنيعهم مما يحتاج إلى كلفة في حمل النفس على تحمل ما يسوء، ولكن مما يهون ذلك عليها ارتقاب عقابهم وجزائهم.

تنزع : عبر بالفعل المضارع لبيان استمرارية ذلك النزوع وتكرره مما يزيد في بيان هول ما نزل بهم من العذاب.

(فتعاطى) : "هو مطاوع عاطي، وكأن هذه الفعلة تدافعها الناس وعاطاها بعضهم بعضاً فتعاطاها قدار[1] وتناول العقر بيده"[2].

صيحة واحدة: عبّر باسم المرَّة الذي يفيد الوحدة، وزاد على ذلك بتوكيده بـ (واحدة) مما فيد عظمة قدرة الله تعالى حتى إن صيحة واحدة من ملك من ملائكة الله تعالى جعل هذه القرية كهشيم المحتظر .

(فكيف كان عذابي ونذر) " أي: إنذاري. قال الفراء: الإنذار والنذر مصدران...، وقيل: نذر جمع نذير، ونذير بمعنى الإنذار كنكير: بمعنى الإنكار"[1].

---

(١) هو قدار بن سالف عاقر الناقة – انظر تفسير البحر المحيط (ج١٠/ص١٨٢) .
(٢) تفسير البحر المحيط (ج١٠/ ص١٨٢) .

. المستوى النحوي (التركيبي) :

فقوله : (كذبت قبلهم قوم نوح)أي قبل قومك. (فكذبوا عبدنا) نوحاً عليه السلام وهو تفصيل بعد إجمال، وقيل معناه كذبوه تكذيباً على عقب تكذيبهم كلما خلا منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب، أو كذبوه بعدما كذبوا الرسل. (وقالوا جنون) هو مجنون (وازدجر) وزجر عن التبليغ بأنواع الأذية، وقيل إنه من جملة قيلهم أي هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته(٢).

قال الزمخشري: "فإن قلت: ما معنى قوله تعالى : (فكذبوا) بعد قوله: (كذبت) ؟ قلت: معناه: كذبوا فكذبوا عبدنا أيك كذبوه تكذيباً على عقب تكذيب، كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب. أو كذبت قوم نوح الرسل، فكذبوا عبدنا، أي : لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأساً، كذبوا نوحاً؛ لأنه من جملة الرسل" (٣).

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝١٠ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ ﴾

نلاحظ الربط بين هذه الجمل بالفاء التي تفيد التعقيب والسرعة؛ فعلى القول بأن الفاء للترتيب في قوله (فكذبوا) فيكون المقصود أنهم كذبوا نبيهم بمجرد دعوته إياهم.

وكذلك يكون المعنى في قوله (فدعا) أي حينما بلغ التكذيب مبلغه دعا ربه فكانت الإجابة على وجه السرعة : (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) ، وعطف الجمل التي بعدها عليها بالواو لأنها مشتركة معها في الحكم وزمن الوقوع ؛ فالواو للدلالة على الجمع والاقتران؛ فلذا قال : ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ ﴾

وجملة : (تجري بأعيننا) نعت لإظهار مدى العناية الإلية في حفظ تلك السفينة.

---

(١) فتح القدير (ج٧/ص٩).

(٢) البيضاوي ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر بن محمد – أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط الحلبي.

(٣) الكشاف (ج٦/ص٤٥١).تفسير القرطبي (ج١٧/ ص١٣٣).

و(جزاء لمن كان كفر) مفعول لأجله أي فعل ذلك (جزاء لمن كان كفر) "أي جعلنا ذلك ثواباً وجزاء لنوح على صبره على أذى قومه وهو المكفور به، فاللام في (لمن) لام المفعول له، وقيل : (كفر) أي جحد، فـ (من) كناية عن نوح.

وقيل : كناية عن الله والجزاء بمعنى العقاب، أي عقاباً لكفرهم بالله تعالى.

وقرأ يزيد بن رومان وقتادة ومجاهد وحميد (جزاء لمن كان كفر) بفتح الكاف والفاء، بمعنى: كان الغرق جزاء وعقاباً لمن كفر بالله" [(١)].

(فكيف كان عذابي ونذر) " أي: إنذاري.. والاستفهام للتهويل والتعجب، أي: كانا على كيفية هائلة عجيبة لا يحيط بها الوصف، وقيل: نذر جمع نذير، ونذير بمعنى الإنذار كنكير: بمعنى الإنكار" [(٢)]. فيكون المعنى: فكيف كان إنكاري وانتقامي؟

﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ ﴾

قال الرازي: "وفي قوله تعالى : (فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه) مسائل :

المسألة الأولى : زيداً ضربته وزيد ضربته كلاهما جائز والنصب مختار في مواضع منها هذا الموضع وهو الذي يكون ما يرد عليه النصب والرفع بعد حرف الاستفهام ، والسبب في اختيار النصب أمر معقول وهو أن المستفهم يطلب من المسئول أن يجعل ما ذكره بعد حرف الاستفهام مبدأ لكلام ويخبر عنه، فإذا قال: أزيد عندك معناه أخبرني عن زيد وأذكر لي حاله، فإذا انضم إلى هذه الحالة فعل مذكور ترجح جانب النصب فيجوز أن يقال: أزيداً ضربته وإن لم يجب فالأحسن ذلك فإن قيل: من رأ (أبشراً منا واحداً نتبعه) كيف ترك الأجود؟ نقول: نظراً إلى قوله تعالى : (فقالوا) إذ ما بعد القول لا يكون إلاّ جملة والاسمية أولى والأولى أقوى وأظهر.

---

(١) تفسير القرطبي (ج١٧/ ص١٣٣) . وانظر :سورة القمر دراسة أسلوبية د/عبد الحميد هنداوي بحث محكم ومنشور بحولية جامعة الطائف العددالثاني ١٤٣٠هـ ص ١١٥

(٢) فتح القدير (ج٧/ص٩٠) .

المسألة الثانية : إذا كان بشراً منصوباً بفعل، فما الحكمة في تأخر الفعل في الظاهر؟

نقول: ... إن البليغ يقدم في الكلام ما يكون تعلق غرضه به أكثر وهم كانوا يريدون تبيين كونهم محقين في ترك الاتباع فلو قالوا: أنتبع بشراً يمكن أن يقال نعم اتبعوه وماذا يمنعكم من اتباعه ، فإذا قدموا حاله وقالوا هو نوعنا بشر ومن صنفنا رجل ليس غريباً نعتقد فيه أنه يعلم ما لا نعلم أو يقدر ما لا نقدر وهو واحد وحيد وليس له جند وحشم وخيل وخدم فكيف نتبعه، فيكونون قد قدموا الموجب لجواز الامتناع من الاتباع، وعلم أن في هذه الآية إشارات إلى ذلك أحدها: نكروه حيث قالوا (أبشراً) ولم يقولو: أنتبع صالحاً أو الرجل المدعي النبوة أو غير ذلك من المعرفات والتنكير تحقير.

ثانيها : قالوا أبشراً ولم يقولوا أرجلاً .

ثالثها : قالوا (مِنَّا) وهو يحمل أمرين أحدهما من صنفنا ليس غريباًن عنا وثانيهما (مِنَّا) أي تبعنا ..

رابعها : (واحداً) يحتمل أمرين أيضاً أحدهما : وحيداً إلى ضعفه وثانيهما: واحداً أي هو من الآحاد لا من الأكابر المهشورين، وتحقيق القول في استعمال الآحاد في الأصاغر حيث يقال: هو من آحاد الناس هو أن من لا يكون مشهوداً بحسب ولا نسب إذا حث عنه من لا يعرفه فلا يمكن أن يقول عنه قال فلان أو ابن فلان فيقول قال واحد وفعل واحد فيكون ذلك غاية الخمول؛ لأن الأرذل لا ينضم إليه أحد فيبقى في أكثر أوقاته واحداً فيقال: للأرذل آحاد.

وقوله تعالى عنهم (إنا إذاً لفي ضلال وسعر) يحتمل وجهين أحدهما : أن يكونوا قد قالوا في جواب من يقول لهم إن لم تتبعوه تكونوا في ضلال، فيقولون له: لا بل إن تبعناه نكون في ضلال.

ثانيهما : أن يكون ذلك ترتيباً على ما مضى أي حاله ما ذكرنا من الضعف والوحدة فإن اتبعناه نكون في ضلال وسعر أي جنون على هذا الوجه [1].

فلأجل ما ذكر قدموا (بشراً) في سؤالهم؛ لأنه هو موضع استنكارهم وسبب كفرهم – على زعمهم .

وقوله تعالى : (أءلقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر) .

قدم الفعل لأنه هو المستنكر المراد نفيه و"النفي بطريق الاستفهام أبلغ لأن من قال: ما أنزل عليه الذكر ربما يعلم أو يظن أو يتوهم أن السامع يكذبه فيه فإذا ذكر بطريق الاستفهام يكون معناه أن السامع يجيبني بقوله: ما أنزل فيجعل الأمر حينئذٍ منفياً ظاهراً لا يخفى على أحد بل كل أحد يقول : ما أنزل" [2].

(بل هو كذاب أشر) إضراب عن ما أنكروه بقولهم (ألقي الذكر عليه من بيننا) أي لم ينزل الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب فيما ادعاه، بطر متكبر [3].

﴿فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾﴾

يقول : استخدمت الفاء للربط بين الجمل لإفادة السرعة والترتيب والتعقيب، فكأن المعنى فنادوا صاحبهم مسرعين بذلك؛ فأسرع صاحبهم فتعاطى فعقر فبمجرد تعاطيه السيف أسرع إلى عقر الناقة دون تدبر أو رويَّة.

وإزاء السرعة والتعجل في العصيان والمخالفة كانت السرعة في العقاب والمؤاخذة : ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾﴾

"وقوله تعالى : (فهل من مدكر) إشارة إلى أن الأمر من جان بالرسل قد تم ولم يبق إلا جانب المرسل إليهم بأن كانوا منذرين متفكرين ويهتدون

(١) تفسير الرازي (ج١٥/ ص١) .
(٢) تفسير الرازي (ج١٥/ ص٣) .
(٣) التحرير والتنوير (ج١٤/ ص٢٤٤) .

بفضل الله فهل من مدكر مهتد، وهذا الكلام يصلح حثاً ويصلح تخويفاً وزجراً "[1].

فهو استفهام إنشائي غرضه إما الحثّ على التذكر، أو بغرض التخويف والزجر.

﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾﴾

ربط بين الجمل بالفاء كذلك للدلالة على السرعة والترتيب والتعقيب في كلّ مما ذكر.

وكذلك في قوله تعالى : (كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر)

"وانتصب (أخذ عزيز مقتدر) على المفعولية الطلقة مبيناً لنوع الأخذ بأفظع ما هو معروف للمخاطبين من أخذ الملوك والجبابرة" [2]. وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾

يصح أن ينتصب (يوم يسحبون في النار) طرف للكون في ضلال وسعر على نحو قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾﴾ (النازعات: ٨-٦) ، وقوله :﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ (القصص: ٤٢) [3] .

ولعلَّ أهم السمات الأسلوبية المميزة في هذا المقطع الذي يبدأ ببيان حال المكذبين السابقين إلى آخر السورة هي ظاهرة التكرار وهذا هو ما سوف نلمحه في بياننا لأهم السمات الأسلوبية لهذه السورة .

أهم الصور البيانية في السورة :

١ـ الاختيار الأسلوبي المناسب : وذلك من حيث اختيار الوسائل التعبيرية المناسبة لمقاصد السورة على كافة المستويات اللغوية المعجمية والصوتية والصرفية والنحوية التي سبق التمثيل لها فيما سبق .

(١) تفسير الرازي (ج١٤/ ص ٤٨٩) .
(٢) تفسير الرازي (ج١٥/ص٣)
(٣) التحرير والتنوير (ج١٤ص/٢٤٤)

٢. العدول الأسلوبي المناسب : وذلك من خلال العدول عن القاعدة السياقية أو اللغوية الشائعة لتحقيق غرض بلاغي على نحو ما رأينا أمثلته فيما سبق.

إن الناظر في هذه السورة الكريمة يكاد يستشعر أن التكرار يكاد يمثل الغاية والوسيلة معا في هذه السورة، فالغاية أو الغرض من هذه السورة هو عرض صور النذارة المتكررة لإزعاج هؤلاء الغافلين. ومن ثم نستطيع أن نلمح صور التكرار في هذه السورة ممثلة في :

الصورة الأولى : تكرار الآيات الكونية المنذرة بقرب الساعة وعذاب الكافرين ممثلة في : انشقاق القمر – الطوفان وسفينة نوح عليه السلام – ريح قوم عاد – ناقة ثمود – إهلاكهم بالصيحة – إهلاك لوط بالحاصب – الآيات التي جاء بها موسى لفرعون وقومه – إهلاك فرعون وقومه لما كذبوا بالآيات (كبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر) .

الصورة الثانية : تكرار الآيات السمعية ممثلاً في : (ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر) القمر: ٤ ، ذكر (القرآن) أربع مرات.

ذكر (الذكر) القمر (٢٥) مراداً به ما أنزل على الرسل السابقين.

الصورة الثالثة : تكرار ذكر الرسل وبعثهم ونذارتهم لأقوامهم (قوم نوح وعاد وثمود ولوط وآل فرعون وأهل مكة).

الصورة الرابعة: تكرار التكذيب من الأمم السابقة لرسلهم .

قال الزمخشري في قوله تعالى: (كذبت قوم نوح فكذبوا عبدنا) .

"فإن قلت: ما معنى قوله تعالى : (فكذبوا) بعد قوله : (كذبت)؟ قلت: معناه: كذبوا فكذبوا عبدنا أي : كذبوه تكذيباً على عقب تكذيب، كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب. أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا، أي: لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأساً، كذبوا نوحاً؛ لأنه من جملة الرسل"[١].

الصورة الخامسة : تكرار إنجاء المؤمنين من الأمم السابقة.

الصورة السادسة : تكرار الامتنان على العباد بنعمة تيسير القرآن للذكر أربع مرات.

---

(١) تفسير الرازي (ج١٤/ ص٤٨٩).

الصورة السابعة: تكرار الحض على التذكر والاتعاظ مراراً "فهل من مدكر" ذكرت ست مرات .

الصورة الثامنة : تكرار النذارات إلى العباد بصورها المختلفة وقد تكررت كلمة (النذر) بلفظها في هذه السورة عشر مرات، كما تكررت النذارة بمادتها ومعناها أكثر من ذلك.

الصورة التاسعة : تكرار لفظ العذاب سبع مرات منسوباً في ست منها إلى الله تعالى (عذابي)، وتكرار الإذاقة للعذاب مراراً حيث تكرر لفظ "فذوقوا عذابي ونذر" مرتين، وتكرر لفظ (ذوقوا) ثلاث مرات بعد قوله تعالى "ذوقوا مس سقر".

الصورة العاشرة: تكرر لفظ (الزجر) بمادته مرتين في (فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر)[1].

الصورة الثانية عشر: تكرار المشاكلة :

وذلك كما سبق بيانه في المشاكلة بين قوله تعالى على لسان المجرمين : (إنا إذاً لفي ضلال وسعر)، وقوله تعالى: عن عذاب المجرمين في الآخرة : (إن المجرمين في ضلال وسعر) .

فالألفاظ واحدة ولكن المعنى مختلف بين ما وصفوا به أنفسهم لو اتبعوا رسولهم عليه السلام، وبين ما نزل بهم من العذاب في الآخرة بسبب تركهم اتباع نبيهم.

فقد وصفوا أنفسهم بأنهم يكونوا على الضلال بمعنى مجانبة الحق و الصواب، وأنهم في جنون لو اتبعوا رسولهم الذي وصفوه بالجنون والضلال؛ فأثبت الله لهم الضلال والسعر بسبب ترك اتباع نبيهم؛ فكان ذلك تكذيباً لهم وردّاً لكلامهم، فهم في ضلال وسعر في الآخرة، وهو العذاب والحريق؛ بسبب ما كانوا فيه من ضلال وسعر في الدنيا، وهو مجانبة الحق والتخبط والضلال.

وهذا الوصف – جاء أيضاً – انتصاراً لنبيهم الذي قالوا عنه (مجنون وازدجر) .

كما نلمح كذلك هذا النوع من تكرار المشاكلة والمعاقبة كما في وصف الكافرين لما جاء به نبيهم بأنه : (سحر مستمر) .

(١) التحرير والتنوير (ج١٤/ص٢٥٧)

فعاقبهم الله على ذلك بـ (يوم نحس مستمر) .

كما نلمح كذلك تكرر كلمة (أشر) ومعناها الكبر والبطر عن الحق، وقد تكررت على سبيل المجازاة والمعاقبة بين :

قوله تعالى : ﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾﴾ (١)

وقوله تعالى : ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾ (٢)

فوصفهم الله تعالى بما وصفوا به نبيهم على سبيل المجازاة والمعاقبة لأنهم أولى بهذا الوصف وأحق به من نبيهم، وهو بريء منه تمام البراءة، بل هو مستحيل عليه.

(١) التحرير والتنوير (ج١٤/ص٢٦٢)

(٢) الكشاف (ج٦/ ص٤٥١). وانظر :سورة القمر دراسة أسلوبية د/عبد الحميد هنداوي بحث محكم ومنشور بحولية جامعة الطائف العددالثاني ١٤٣٠هـ ص١١٧ ومابعده

المبحث السابع : عبر وأضواء من أخبار الأمم الماضية

وتحته مطالب :

المطلب الأول : عبر وأضواء من قصة نوح عليه السلام :

أولاً : إن الدعوة إلى الله تحتاج الصبر الطويل، والروح المرنة، والحوار الهادئ، والصبر الجميل، على الاتهامات الباطلة، والافتراءات الكاذبة، ولو تمعن المسلم في صبر نوح ألف سنة إلا خمسين عاماً، وهو يُرمى بالجنون والضلال وحب الزعامة، وكسب الثروة، كما يرمى أتباعه بالطيش والرذيلة، وهو يقابل كل ذلك بالصبر الجميل على إيذاء قومه، والحوار العقلي الهادئ، عسى أن ينجح في إجلاء الغشاوة التي على أبصارهم، وتنظيف الوقر من آذانهم، ومسح الرَّيْن عن قلوبهم، دون أن يكرههم على الإيمان، ولا أن يسألهم الزعامة ولا المال [1].

ثانيا : أن الله سبحانه أمر نوحاً عليه السلام بصناعة السفينة، وقد امتثل نوح لأمر الله، وصنع السفينة بيديه، وساعده فيها أتباعه المؤمنون، وفي إشارة إلى الحث على الصناعة، إذ كانت سفينة نوح مؤلفة من أخشاب وحبال ومسامير ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾ (القمر:١٣) وهذا يعني أن نوحاً عليه السلام قد استحضر موادها الأولية وألّف بينها حتى صارت سفينة صالحة للإبحار، ولسنا بصدد الدخول في الروايات الإسرائيلية عن حجم السفينة، بل إن الذي يعنينا أن هذه السفينة من الضخامة بمكان بحيث صمدت أمام الأمواج المتلاطم كما صورها القرآن ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ (هود: ٤٢) .

وكانت مهمة السفينة أن يركب فيها الناجون ليسلموا من الطوفان، وفي ذلك إشارة إلى أن النجاة يصنعها الإنسان بيده ثم يتوكل على الله، وأن الأمة مطلوب منها أن تصنع سفينة نجاتها بيدها وأيدي أبنائها، لا أن تعتمد في نجاحها على سفن غيرها، ولا أن تقف مكتوفة اليدين أمام طوفان الباطل والظلم لتغرق فيه، أو تنتظر ممن يريد إغراقها أن ينجيها. وإن الأمة التي لا تصنع ركب نجاتها بيدها عرضة للهلاك والغرق في الطوفان

(١) المدخل الى علم الدعوة د/ محمد البيانوني ص ١٢٢ ط مؤسسة الرسالة –بيروت ٢٠٠٧ م

ثالثاً : كانت سفينة نوح أول حديقة حيوان يحافظ فيها على النوع بأمر من الله ﴿ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ (هود: ٤٠) وهذه إشارة إلى العناية بالحيوانات، وضرورة الحفاظ عليها، وعدم نسيانها في غمرة الطوفان .

رابعاً : بعد أن انتهى أمر الطوفان، وأغرق الله الكافرين ﴿وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾ (هود:٤٤) أمر الله نوحاً بأن يهبط على الأرض ليعيش بسلام ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ﴾ (هود:٤٨) وفي ذلك إشارة إلى أن السلام في الأرض لن يتحقق إلا إذا انتهى الظلم وقُبرَ الظالمون، فلا سلام إلا مع العدل، وهذه سنة كونية فطر الله الدنيا عليها، وسنة الله لا تتبدل ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢﴾ (الأحزاب:٦٢). وهذا يعني أن الذي يخالف هذه السنة مغلوب لا محالة، وجهوده ستؤول إلى الفشل بلا ريب، إذ إن فطرة الإنسان تأبى أن يظلم أحد من البشر ثم يعيش المظلوم بسلام مع الظالم، قد يعيش مقهوراً، يتحين الفرص للتخلص من الظلم، أما أن يعيش بسلام؟! فهذا لا يتحقق إلا إذا رجع الظالم عن ظلمه وأنصف المظلوم من نفسه .

المطلب الثاني : عبر وأضواء من قصة هود عليه السلام :

أولاً : ينبغي للداعية إلى الله أن يخاطب المدعوين بمنطق الأخوة الإنسانية ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ (الأعراف: ٦٥) ، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ (الأعراف: ٧٣) ، ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ (الأعراف: ٨٥)، ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ﴾ (الشعراء: ١٦١) والأنبياء جميعاً إخوة لأقوامهم، تربطهم معهم الأخوة الإنسانية، ويقتضي منطق الأخوة الإنسانية أن يكون الداعية ناصحاً أميناً ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ (الأعراف:٦٨)، والناصح الأمين مهمته انتشال قومه من جهلهم إلى العلم، ومن تخلفهم إلى التقدم، ومن ضعفهم إلى القوة، ومن وثنيتهم إلى الإيمان الحق، يحقق ذلك بالحوار الهادئ، ومخاطبة العقل، والدعوة إلى العلم ، دونما عداء ولا اغتيال، ولا تشدد ولا تطرف، ولا إرهاب. (١)

ولماذا يعادي الداعية قومه وقد كلفه الله بالدعوة لا بالإجبار، وبالنصيحة لا بالشتيمة، أليس الطبيب عدواً للمرض لا للمريض؟ أليس العالم عدواً للجهل لا للجاهل؟ أليس المنقذ عدواً للغرق لا للغريق؟ وكذلك فإن الداعية إلى الله عدو للكفر لا للكافرين، عدو للشرك لا للمشركين. ومن هذه الزاوية عليه أن يخاطبهم بمنطق الأخوة الإنسانية . (٢)

ثانياً : إن الإنسان مهما بلغ من القوة فإنه ضعيف ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ (النساء:٢٨) ويتجلى ضعفه في حاجته للطعام والشراب، وركونه إلى الراحة والنوم وتعرضه للمرض والخور، لا يتمكن أن يدفع عن عينيه العمى، ولا عن أذنيه الصمم، ولا عن لسانه الخرس، ولا عن بدنه المرض، وإنسان هذا شأنه لا ينبغي أن يفخر بقوته فإن الله أشد منه قوة. وفي هذا الإطار إذا امتلك الإنسان القوة لا يجوز له أن يسخرها للبطش بالضعفاء، ولا لقتل الأبرياء، ولا للتسلط على البشر، وإرغامهم على الإذعان، والتكبر في الأرض، بل إنا لقوة ينبغي أن تسخر لحماية الحق، ونشر العدل، وإسقاط الظلم. وعندما امتلك المسلمون القوة ما أرغموا أحداً على الدخول في الإسلام ،

(١) الاسلام دين ودولة د / محمد البهي ص ٣٥٢
(٢) المرجع ما قبل السابق ص ٨٩

بل قاموا بتسخير القوة لحماية الحق، ونشر العدالة في العالم، ومضت جيوشهم إلى حيث يتربع الظالمون على رقاب المستضعفين، يستعبدونهم ويذلونهم، وقد جاء في خطاب ربعي بن عامر لرستم إذ سأله : "ما الذي جاء بكم إلى بلادنا؟" قال ربعي: "جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهار" هذه هي وظيفة القوة (١)

ثالثاً : إن الحضارة بمظاهرها المدنية لابد أن يسخرها الإنسان في ظل العبودية لله، وفي هذا الظل تنمو وتزدهر ، ويتفيأ الإنسان ظلالها، أما الحضارة التي يسخرها الإنسان في ظل العبودية للأنانية والأهواء، ويستخدم ثمراتها في ممارسة الجبروت والطغيان فإن مآلها إلى الزوال ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨﴾ (الفجر: ٦-٨) ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١﴾ (الفيل: ١) ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ (القصص: ٧٨) وقد دعا القرآن الإنسان لدراسة أصحاب الحضارات الذين أثاروا الأرض وعمروها، ولكنهم لم يسخروا حضارتهم في ظل العبودية لله فزالت حضارتهم واندرست آثارهم ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ (الروم: ٩)، وقد حدثنا التاريخ عن حضارات شملها قانون الله، طوى الزمان آثارها، أين إرم ذات العماد؟ أين ثمود الذين جابوا الصخر بالواد؟ أين فرعون ذو الأوتاد؟ أين القياصرة والأكاسرة؟

وهذه السنة الكونية لا تتخلف ولا تتغير، حتى إنا لمسلمين عندما حملوا لواء الحضارة، وسخروها في ظل العبودية لله، دانت لهم المشارق والمغارب، ودخلوا الأندلس يحملون راية التوحيد، ففتحوها، وبنوا حضارتهم فيها، وداموا فيها ثمانية قرون حتى تحولت نفوسهم، وسخروا الحضارة للأنانية والأهواء، فدبت الفرقة والتمزق في وحدتهم، وصار الأمراء يسعون وراء المكاسب الشخصية فانهارت حضارتهم، وأخرجوا من الأندلس مقهورين.

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٤/ ٣٥٣

وإن الحضارة اليوم لتشملها هذه السنة الكونية ، فما لم تتسخر هذه الحضارة في ظل العبودية لله فإن مآلها إلى الزوال؛ لأن أساسها قائم على شفا جرفٍ هارٍ. (١)

رابعاً : مهما أوتي الإنسان من نعم، وعاش في خيرات، وتمتع بالقوة فينبغي أن يعلم أن مصدر ذلك كله هو الله، ومقتضى ذلك العلم أن يؤدي شكر هذه النعم؛ لأن شكرها يؤدي إلى زيادتها، كما قال تعالى :﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (إبراهيم:٧) ، وكذلك فإن كفر هذه النعم يعرضها للزوال: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ (النحل:١١٢) .

وانطلاقاً من ذلك كان نداء هود لقومه﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ (هود:٥٢)، والشكر له شطران: أحدهما: أن تحمد الله على آلائه بأقوالك. ثانيهما: أن تمارس عملاً يؤدي إلى الشكر، وقد أشار القرآن إلى الشكر العملي في قوله تعالى : ﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ ﴾ (سبأ:١٣) فشكر نعمة المال يكون بإنفاقه في الخير، وشكر نعمة العقل يكون بالتفكير الصحيح، وشكر نعمة العلم يكون بالتعليم، وشكر نعمة الخلافة يكون بالإعمار والبناء، وشكر نعمة القوة يكون باستخدامها في حماية الحق وحراسة العدل.

المطلب الثالث : عبر وأضواء من قصة صالح عليه السلام :

أولاً : إن بناء الحضارة تتصدع أركانه إذا استشرى الفساد بين أبناء الأمة، ولهذا قال صالح لقومه ﴿ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ (الأعراف:٧٤)، ونهاهم عن طاعة المفسدين فقال : ﴿ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (الشعراء:١٥١-١٥٢)، وإن الحضارة الغربية تقف اليوم على أبواب الانهيار، وقد صار أساسها على شفا جرفٍ هارٍ، إذ تعيش حالة من التفلت والفوضى تحت شعار الحرية، مما أدى

(١) المرجع السابق ص ٩١

إلى انتشار الفساد والرذيلة في مجتمعاتها، وهذا سيوصلها إلى مهاوي الهلاك والضياع، وقد شعرت بقرب انهيارها فلجأت إلى التقييد من حرية الفوضى فحاربت المخدرات، واستدعت الواعظين لتربية المسجونين، وإن تعجب فعجب أن ترى من أبناء العرب من يدعو إلى إطلاق الفوضى الجنسية بين المراهقين تحت شعار الحرية في وقت تئن فيه الحضارة الغربية من كابوس الإيدز. (١)

وإن المسلم معني بمكافحة الفساد في بيته ومصنعه ومتجره ومجتمعه ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ (آل عمران: ١٠٤).

ثانياً : إن أيّ دعوة للإصلاح في المجتمع تواجه بالرفض من قبل القاعدة العامة الغوغائية بسبب التقليد الأعمى للآباء، وهذا ما جاء على لسان (ثمود) ﴿أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ (هود:٦٢). وهذه الآبائية حرمت الأمة من التجديد والتقدم، إذ لا تتسم بحجة ولا منطق، ولهذا كان الإسلام حرباً على الرجعية ونبذاً للتخلف ف جميع الميادين، ولا يجوز لأحد أن يصف الإسلام بالرجعية؛ لأنه أطلق للعقل حريته، ودعا إلى التقدم والتجديد، ونعى على الذين يضعون أمام عقولهم سداً، ويعطلون فكرهم، ويجمدون على تقليد الآباء والأجداد ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ (البقرة: ١٧٠)

ثالثاً : سمة من سمات المجتمع الفاسد هي أنه يكره النصيحة ولا يحب الناصحين، وكانت هذه السمة من سمات قوم صالح، إذ جاء على لسانه ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ (الأعراف:٧٩) وإن الناظر إلى المجتمع ليرى أن الناس يحبون من يمدحهم ويثني عليهم ويبتعد عن توجيه سلوكهم، ويتجنب إسداء النصيحة لهم، حتى إذا نبّه أحداً إلى خطئه، وأرشده إلى زلاته؛ صار منبوذاً، يتحاشى الناس مجلسه، ويتناولونه بالذم والتقريع؛ لأنهم لا يحبون الناصحين. وإن ذلك مخالف للإسلام؛ إذ يقول تعالى : ﴿۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ

(١) مدرسة الانبياء ص ١٠٩

أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ (النساء: ١٣٥) ويقول النبي ﷺ : "الدين النصيحة"، قلنا: لمن؟ قال: "لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" وانطلاقاً من ذلك يُطْلب من المسلم أن يقول كلمة الحق ويمارس النصيحة ويسعى لإرضاء الله، ولا يكترث بإرضاء الناس، فإن إرضاء جميع الناس غاية لا تدرك ولا تنال [١].

رابعاً : إن عملية الإصلاح الاقتصادي قد تحتاج إلى الترشيد في الاستهلاك، وخاصة في مجتمع يتبع السياسة الإسرافية، ولما كان قوم صالح مسرفين فقد أمرهم الله بترشيد الاستهلاك لأهم مورد تقف عنده حياة الإنسان وهو الماء ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾﴾ (القمر: ٢٨) ﴿لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾﴾ (الشعراء:١٥٥) وهذا منطلق الإصلاح عند نشوب أزمة في مجال من المجالات، فعند حدوث أزمة ماء، فالمسلم معني بترشيد استهلاكه، إذ لا يجوز له أن يسرف في استهلاك الماء في وقت يحرم منه غيره، ولو كان الآخر دابة في الأرض، وفي هذا الإطار نهى ربنا سبحانه عن الإسراف فقال : ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ (الأعراف: ٣١) وقال ﷺ لاحد الصحابة : "لا تسرف لا تسرف "[٢] .

وعند حدوث أزمة كهرباء فالمسلم معني بترشيد استهلاك الكهرباء إذ عليه أن يراعي حال غيره بالتخفيف من استهلاكه. وكذلك الأمر ينسحب على الغذاء والطاقة، أما منطق الإسراف فلا يعرف إلا الأنانية والمصلحة الذاتية، وهو ما دعا المسرفين من قوم صالح إلى عقر الناقة واعتدائهم على الحيوانات البريئة، وحرمانها من حقها في الماء على الرغم من أنها تمدهم باللبن والغذاء،

(١) انظر :قصص الانبياء لابن كثير تح سيد توفيق ص ١١١ والمرجع السابق ص ١١٥

(٢) سنن ابن ماجة كتاب الطهارة باب القصد في الوضوء وكراهية التعدي فيه١٤٧/١ رقم ٤٢٤ وفيه بقية بن مخلد تكلم فيه بعضهم بالتجريح وبعضهم وثقه انظر مجمع الزوائد للهيثمي ٢٤٣٥

وإن الأمة التي لا تقتصد مآلها مآل ثمود الذين أخذتهم الرجفة فأصبحوا في ديارهم جاثمين [1].

خامساً : تقتصر مهمة الرسول على تبليغ الرسالة ونشر الدعوة، وإقامة الحجة على الناس ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ (النساء:١٦٥)، وليس من مهمته أن يحاسب الناس على تقصيرهم في طاعة الله ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾﴾ (النساء: ٨٠)، ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ (المائدة: ٩٢)، ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ (المائدة: ٩٩) . أما قضية الحساب فهي راجعة إلى الله عز وجل ولهذا قال الله لنبيه: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ (الرعد: ٤٠). وقد أدرك صالح هذه الحقيقة وأخبر قومه بها فقال : ﴿لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ﴾ (الأعراف: ٧٩) .

هذا ما قام به الأنبياء جميعاً، إذ جاء على لسان نوح ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ﴾ (الأعراف: ٦١-٦٢). وجاء على لسان هود ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ (الأعراف: ٦٧-٦٨)، وجاء على لسان شعيب﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ﴾ (الأعراف:٩٣) .

وكم هو بعيد عن القرآن من ينصب نفسه إلهاً يحاسب الناس على تقصيرهم في طاعة الله، فيتولى مهمة الحساب، ويترك واجب البلاغ، فيمضي إلى شارب الخمر فيقتله، ويرى العاصي فيشتمه، معتقداً أنه يغير المنكر بيده، علماً بأن تغيير المنكر يحتاج إلى دعوة وبلاغ، وحكمة ولين، وحوار وهدوء، ولم يرد أبداً أن تغيير المنكر يكون بقتل النفس التي تمارسه، إذ لم يشرع الله الحدود إلا بعد إرساء العقيدة وتمكينها في القلوب، وممارسة الرسول لتربية المجتمع حتى أقلع المجتمع بنفسه عن المنكرات، وبقيت الحدود لضعاف النفوس تطبق عليهم بالبينة، وتدرأ عنهم بالشبهات، وهل حد شارب الخمر أن يقتل؟ وهل يملك أحد إلا السلطان أن يقوم بتطبيق هذا الحد؟ وهل أعطى

(١) مدخل الى التنمية المتكاملة د/ عبد الكريم بكار ص ٣٧٢ ط دار اشبليا ٢٠٠٦

الإسلام حقاً للأفراد أن يطبقوا الحدود بمعزل عن السلطان لتشيع الفوضى؟! وفي هذا الإطار حرم الإسلام على أهل المقتول أن يباشروا القصاص بأنفسهم، وإن خالفوا عوقبوا، فكيف لأحد أن يدعي إزالة المنكر بيده؟! مع العلم بأنه يحدث منكراً أكبر من الذي أزاله!؟ فمن أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف، ومن نهى عن منكر فلا يقعن في منكر أكبر . (١)

الدرس الأول : كان اعتراض ثمود على نبيهم صالح بأنه تفرد بالرأي وحده، وتبعه قلة من الضعفاء، وأنهم كثرةٌ، وإنه لمن الضلال أن يتبع الكثرة القلة ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾﴾ (القمر:٢٣.٢٤)

ويقوم نظام الديمقراطية في العالم على اتباع الأكثرية، فأي جماعة تحظى برأي الأغلبية (٥١ مقابل ٤٩) تفزْ بالحكم وتقهر المعارضة، وقد تكون الأكثرية في جانب الباطل، والحق مع القلة، فيتبع الباطل، ويتجنب الحق. وإن المتتبع لآيات القرآن الكريم ليجد أنا لأكثرية تتبع الهوى والأنانية، وقد تحدث الحق سبحانه عن هذا المفهوم: (٢)

١ـ فوصف أكثر الناس بالكفر فقال :﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾ (الإسراء: ٨٩) .

ونفى عنهم الإيمان بقوله : ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ (الرعد:١) ، وبقوله :﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ (يوسف: ١٠٣) على أن حين أن القرآن يحدثنا أنه لم يؤمن مع الأنبياء إلا قلة فقال عن نوح : ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ (هود:٤٠)، وقال : ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ

(١) المرجع ما قبل السابق ص ١٤٣ وانظر تفسير أيات الاحكام للشيخ / محمد علي السايس ص ٤٩٥

(٢) مدرسة الانبياء ص١٤٩

ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾﴾ (الصافات : ٧١)، ووصف المؤمنين بالقلة فقال :﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ (ص:٢٤) . (١)

٢. ووصف القرآن أكثر الناس بالجهل فقال : ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ (الأنعام: ١١١)، ونفى عنهم العلم بقوله : ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ (يوسف: ٦٨) وأشار إلى قلة العالمين بقوله :﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (الكهف:٢٢) .

٣. وصف القرآن الأكثرية بكفران النعم بقوله : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ (النحل: ٨٣) ونفى عنهم الشكر بقوله ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ (غافر:٦١) .

على حين أشار إلى قلة الشاكرين بقوله ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ (سبأ ١٣) .

٤. وقد وصف القرآن الأكثرية بالغفلة عن آيات الله بقوله : ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ (يونس: ٩٢). ونفى عنهم استخدامهم لعقولهم بقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ (العنكبوت:٦٣).

٥ـ وصف الله الأكثرية بكرهها للحق وإعراضها عنه بقوله : ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ (الزخرف:٧٨).

٦ـ ووصف الأكثرية باتباعهم للظن بقوله :﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ﴾ (يونس:٣٦).

٧ـ وإن الكثرة لا تقلب الخبيث إلى طيب، ولا تقلب الباطل إلى حق ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ﴾ (المائدة:١٠٠).

٨. ونبه إلى أن الكثرة لا قيمة لها عند الله، بل القيمة للحق فقال : ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾ (التوبة:٢٥).

٩. وإن العبرة باتباع الحق، وإذا تمسك الإنسان بالإيمان، وصبر على موقفه، واعتصم بحبل الله، فسينصره على كثرة الخبيث؛ كما في قوله :﴿كَم

(١) الكشاف (ج٦/ ص٤٥١).وانظر : مدرسة الانبياء ص١١٧

مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ (البقرة: ٢٤٩).

وقال عن أصحاب محمد ﷺ : ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ (الأنفال: ٦٥-٦٦). (١)

وفي هذا الصدد فإن نظام الديمقراطية لا يصلح لاتباع لاحق، بل الذي يصلح هو نظام الشورى؛ حيث يجمع مجلس الشورى عقلاء الأمة، ويبعد عوامها عن القيادة ويبدي كل عاقل عالم رأيه في مجال اختصاصه، فالأقوى حجة هو الذي يتبع.

وقد وقفت امرأة معها دليل أيام خليفة المسلمين عمر ومعه جمع من الصحابة وقالت: ليس لك ذلك يابن الخطاب، فقال عمر: (أصابت امرأة وأخطأ عمر) (٢).

(١) الكشاف (ج٦/ ص٤٥٦).
(٢) الكشاف (ج٦/ ص٤٥١ والاثر : ذكره سعيد بن منصوروابو يعلي بسند جيد انظر الدر المنثور للسيوطي ٢/ ١٤٨

المطلب الرابع : عبر وأضواء من قصة لوط عليه السلام :

أولاً : خصص القرآن مدرسة نبي بكاملها للحديث عن إصلاح الممارسات الجنسية الخاطئة، وتبيين وظيفة الشهوة الجنسية لدى الإنسان؛ إذ ما كان دين الله يوماً من الأيام ليأتي على الضد من فطرة الإنسان، ولكنه لا يجوز أبداً أن تشيع الفوضى باسم الحرية، ولا أن تستغل شعارات حقوق الإنسان لممارسة أعمال تدمر نسل الإنسان. وإن الله عز وجل قد جعل للشهوة في الإنسان وظيفة تؤديها وهي: بقاء النسل واستمرارية الذرية. غير أن ممارسة هذه الشهوة دونما ضوابط تؤدي بالمجتمع إلى الانهيار، وبالنسل إلى الضياع، وبالبشرية إلى الفناء، إذ خلق الله الأنثى للذكر ليكون من لقائهما النسل. وإن اكتفاء الرجال بالرجال، وإتيان الذكران من دون الإناث يؤدي إلى تفريغ الشهوة دون إنتاج!! وبالتالي ينتهي النسل وتفنى البشرية .

وهذا معنى قول لوط لقومه :﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ (الشعراء: ١٦٥-١٦٦).

إن القانون الذي أنزله الله يضبط الشهوة ولا يكبتها، وينظم العلاقات الجنسية السليمة ولا يدعها تتخبط خبط عشواء ، ويقضي هذا القانون بتحريم الرهبنة انسجاماً مع فطرة الإنسان، وتحريم الزنى صيانة لاختلاط الأنساب، وتحريما لشذوذ حفاظاً على استمرارية النسل، والحث على الزواج الشرعي بين الذكور والإناث. وكل من يخرج على هذا القانون فهو من المعتدين !(١).

ثانياً : إن الله عاقب قوم لوط بعقوبة تتناسب مع جريمتهم، فلما كانت أعمالهم لم يُسبقوا إليها، وهي تودي بالمجتمع إلى التدمير الكامل وانقطاع النسل؛ جاءت العقوبة بإبادة القوم جميعاً وتدمير القرية بأسرها؛ إذ جعل عاليها سافلها، وأمطر أهلها حجارة من سجيل منضود.

وإن هذه العقوبة ينبغي إيقاعها بكل ظالم يفعل فعلتهم :﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ (هود:٨٣). ولما جاء الإسلام شدد العقاب فحكم

(١) مدرسة الانبياء ص١٤٨

برجم الزاني المحصن، وبإعدام الذي يأتي الذكران!! وقد تعددت آراء الفقهاء في كيفية تنفيذ حكم الإعدام، فمنهم من قال: يرجم كالزاني المحصن، ومنهم من قال: يقتل بالسيف تعزيراً، ومنهم من قال: يرمى من شاهق كما فُعِلَ بقوم لوط! (١).

ثالثاً : لم يكن المجتمع العربي يعرف جريمة الشذوذ يوم نزل القرآن الكريم، قال عمر ابن الخطاب ﷺ : لو أن الله لم ينزل في القرآن قصة لوم لوط لما صدقت بأن أحداً يفعل ما كانوا يفعلون!! (٢). وذلك لخروج هذه الفعلة عن فطرة الإنسان . وقد كانت المجتمعات تعد ظاهرة الشذوذ وباءً اجتماعياً خطيراً نتيجة مرض نفسي، إذ إن الشاذ له تركيب نفسي معقد خاص.

وفي عام ١٩٧٣م قامت الولايات المتحدة الأمريكية بعقد مؤتمر لأطباء الأمراض النفسية، واتخذ المؤتمر قراراً شكل سابقة خطيرة إذ تم شطب الشذوذ الجنسي من قائمة الأمراض النفسية، وعُدَّ الشاذ جنسياً إنساناً سوياً !

وقد بدأ منذ ذلك الحين ظهور هذه الشرذمة من البشر إلى سطح المجتمع الأمريكي، وفي عام ١٩٩٢م سمحت الحكومة الأمريكية للشاذين بالالتحاق بالسلك العسكري، مع حرية ممارسة شذوذهم دونما عقوبة ولا إدانة، كما سُمِحَ لهم أيضاً بإنشاء جمعيات خاصة بهم، وتنظيم المسيرات، والمطالبة بالحقوق! وقد قام هؤلاء بتنظيم مسيرات صاخبة بلغ عدد المشاركين فيها من الشاذين حوالي (١٠٠.٠٠٠) شاذ، وطالبوا الحكومة الأمريكية ببذل المزيد من الجهود لإيجاد علاج لمرض (الإيدز) ضماناً لاستمرارهم في الشذوذ!

رابعاً : إن الله سبحانه أنزل حدّاً في الشذوذ الجنسي لتطهير المجتمع من رجسه وآثامه فقال رسول الله ﷺ : "من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به". ولكن الناس حادوا عن أوامر الله رسوله، وعطلوا حدود الله : ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ (الطلاق:١). وكانت نتيجة هذا التعدّي أن ظهرت فيهم الأمراض التي لم تكن في أسلافهم، ورجمهم الله

(١) تفسيرأيات الاحكام للسايس ص٣٤٩

(٢) دراسات في علم الاخلاق الاسلامية د / مقداد يالجن ص ٢٦٧ ط دار عالم الكتب الاولى ٢٠٠٩ م

بمرض يقال له : (الإيدز أو السيدا) وهو عبارة عن (فيروس) يدخل إلى الخلايا اللمفاوية التي تدافع عن الجسم إزاء الهجوم الجرثومي الخارجي، وعند دخوله إلى الخلايا يعطيها معلومات خاطئة ويعلمها الخيانة، فتعامل العدو معاملة الصديق، ويدخل المضر إلى الجسم فلا يجد مقاومة ولا ممانعة، ويبقى مزمناً حتى الموت... أليس هذا رجماً من الله بعد أن عطل الشر حدود الله ؟!

وقد ظهر هذا المرض المرعب عام ١٩٨٠م إذ ابتدأ بأربع حالات في أمريكا عند الشاذين جنسياً، وبدأت العدوى تسري، فظهر في فرنسا وبريطانيا عند الممارسين للشذوذ، وظهر عند البالغين في هاييتي بأعداد هائلة !! ثم بدأ ينتقل بالعدوى عبر المخدرات، ونقل الدم، وقد ارتفع عدد المصابين والحاملين للفيروس عام ١٩٨٨م إلى ١٠ ملايين إنسان، وتتوقع مصادر منظمة الصحة العالمية أن يصل العدد بعد عام ٢٠٠٠م إلى ٤٠ مليون إنسان ما بين مصاب وحال لفيروس الإيدز وتقول الإحصائيات عن انتقال هذا المرض إن ٨٠% منه ينتقل عن طريق الشذوذ الجنسي و١٠% فقط ينتقل عن طريق الزنا أو الاتصال الجنسي السليم، وإن ١٠% ينتقل بسبب نقل الدم وإبر المخدرات وعدوى الأم للجنين !! وللحد من انتشاره فقد توصل العلم إلى ضبط المرض ومراقبته عن طريق فحص الدم المنقول، وقامت بعض الحكومات بتوزيع حقن مجانية جديدة لاستخدامها من قبل متعاطي المخدرات لمنع انتقاله فيما بينهم! غير أن الأسباب الحقيقية للمرض لم تعالج، وكذلك لم يضعوا أيديهم على السبل الكفيلة بمنع انتشاره؛ فإذ إنه ينتقل بواسطة الخروج على ما حرم الله! هذا المرض يكافح بإصلاح المجتمع ومحاربة سبل الفتن والبغاء، والابتعاد عن تأجيج نار الغريزة، والأغاني الماجنة، وبتحصين أولادنا وتربيتهم على العفة والطهارة.

وإن الإنسان ليعجب حينما يرى التوجه في معالجة المرض يسير نحو قبول المصاب به بين أفراد المجتمع، إذ إن المصابين كانوا يعانون من عزل اجتماعي، فيعيش المصاب بأزمة نفسية؛ شكله مخيف، قربه مرعب، يتقرر منه أهله، وينبذه محيطه، حتى إن بعض شركات الطيران رفضت نقل المصابين بالإيدز !! وكذلك بعض مكاتب دفن الموتى فرضت التعامل مع جثثهم!! مما

جعل المصابين بالإيدز يتمنون الموت ولا يأتيهم :﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ (إبراهيم: ١٧) .

ولأجل تخفيف هذه العزلة ، والتقليل من الخوف من الإيدز، وتهدئة الروع من الرعب منه، فقد توجهت منظمة الصحة العالمية إلى إقناع المجتمعات بقبول المصاب بين أفرادها، وأصدرت في ذلك توصيات جاء فيها :

١. إن القبلة والعناق لا ينقلان الإيدز !!
٢. يحذر من يريد الاتصال الجنسي بأن يتأكد من خلو شريكه من الإيدز !!
٣. ينصح من يريد الممارسة أن يلبس واقياً لجهازه !!
٤. ينصح من يريد تعاطي المخدرات ألا يستخدم إبرة صديقه !!

إن هذه التوصيات تحمل في نتائجها المزيد من انتشار المرض نتيجة طمأنة الناس إلى الإبقاء على الممارسة الخاطئة [١]..

وقد عمل أحد المسافرين إلى أوروبا بنصيحة منظمة الصحة العالمية إذ طلب من إحدى البغايا تقريراً بخلوها من الإيدز، فأخرجت له تقريراً مصدقاً بذلك، وفي الصباح وجد رسالة في غرفته جاء بها : أهلاً بك في نادي المصابين بالإيدز!!

أليس من الخير للمجتمع أن يرجم الزاني المحصن، ويقتل من يعمل عمل قوم لوط؟ حتى لا يرجم المجتمع بأسره؟!

المطلب الخامس : عبر وأضواء من قصة إهلاك فرعون وآله :

أولاً : قانون الوراثة والاستخلاف:

اتخذ فرعون تدابير قمعية ضد موسى وأتباعه فقال لجنده: اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه استحيوا نساءهم ، وواجه موسى عليه السلام المحنة بالصبر فقال لقومه استعينوا بالله واصبروا، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، وقد استند موقف موسى إلى يقينه بقانون الله الذي يقضي بأن البقاء للأصلح ،

(١) المرجع السابق ص ٢٧٧ومابعدها

وأن الأرض يرثها الصالحون، كما قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ (الأنبياء:١٠٥) .

وهذه سنة كونية كتبها الله، ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولا تحويلاً. وكان موسى عليه السلام يُعِدُّ قومه ليكونوا عباد الله الصالحين، قولاً وعملاً، عقيدة وسلوكاً، ليستحقوا وراثة الأرض فقال لهم :﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ (الأعراف: ١٢٩) . [1].

وإن الدارس لسيرة رسول الله ﷺ يجد أنه كان يغرس معنى العبودية الخالصة لله سبحانه في نفوس أصحابه، ويزرع في قلوبهم الإيمان الحق الذي يدفعهم إلى العمل الصالح والسلوك السوي، ليكونوا جديرين بوعد الله بالنصر والتمكين والاستخلاف كما قال تعالى :﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ (النور:٥٥) .

هاهنا درس ينبغي التنبه له: هو أن يقوم الدعاة إلى الله سبحانه بغرس معنى العبودية له سبحانه، ويُعَلِّموا الناس كيف يكونون عباداً لله في الصلاة والصيام والحج والزكاة والعلم والتعليم والصناعة والزراعة والأخلاق والعدل والحكم والسياسة، بالقول والعمل، حتى إذا صاروا كذلك، رأيت وراثة الأرض زحفت إليهم لتستخلفهم فيها.

ثانياً : عندما يعجز المبطلون عن إقامة الحجة على أصحاب الحق يغلقون باب الحوار معهم، ويلجؤون إلى التهديد باستخدام القوة لإكراه أصحاب الحق على التنازل عن حقوقهم، أو الكف عن دعوتهم، بالإضافة إلى إشاعة الأكاذيب حولهم وتوجيه الاتهامات الباطلة إليهم، وهذا ما قام به فرعون؛ إذ اتهم موسى بالجنون فقال: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾﴾

(١) قصص الانبياء ص٣٢٤ وما بعدها

(الشعراء:٢٧) كما اتهمه بأنه مسحور إذ قال ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾ (الإسراء:١٠١) واتهمه بأنه كاذب إذ قال لهامان : ﴿فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ (القصص:٣٨) ولم يكتفِ بذلك، بل عيره بأنه ألثغ مهين لا يفهم كلامه إذ قال : ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ (الزخرف: ٥٢) وعلى الرغم من كل ذلك فقد حقق موسى عليه السلام انتصاراً في الحوار؛ إذ أقام الحجة العقلية على وجود الله وإبطال ربوبية فرعون المزعومة. فلجأ فرعون إلى التهديد بالقوة إذ قال لموسى : ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (الشعراء: ٢٩).

وإن المتدبر لآيات القرآن الكريم والقارئ لأحداث التاريخ يرى أن أصحاب الحق من مرسلين ومصلحين قد تعرضوا لمثل هذا الإكراه، إذ استخدم الكفار القوة أو هددوهم بها لتراجعوا عن دعوتهم ، ومثال ذلك :

١ـ نوح عليه السلام : هدده قومه بقولهم : ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾ (الشعراء: ١١٦).

٢ـ إبراهيم عليه السلام : هددهم أبوه بالرجم بقوله :﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾ (مريم: ٤٦).

٣. لوط عليه السلام : حكم عليه وعلى أتباعه بالطرد والإبعاد من الوطن بتهمة الطهارة والعفاف كما جاء على لسان قومه : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ (النمل: ٥٦) .

٤ـ يوسف عليه السلام هددته امرأة العزيز بالسجن والصغار إن بقي متمسكاً بعفته، وقالت أمام جمع من النسوة : ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ (يوسف:٣٢) .

٥ـ شعيب عليه السلام : هدده قومه بالطرد من البلاد والرجم بالحجارة إن لم يكف عن دعوته ويعدْ إلى ملتهم الباطلة، قال تعالى : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ (الأعراف:٨٨)، وقالوا له :﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ﴾ (هود: ٩١).

٦ـ وقد أرسل الله رسولين إلى قرية، وعززهما بثالث، فكان جواب أصحاب القريـــة: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ (يس:١٨).

٧ـ وتحدث القرآن عن إكراه الكفار للمرسلين فقال :﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ﴾ (إبراهيم:١٣) .

٨. الفتية الذين أووا إلى الكهف فراراً بدينهم خافوا من بطش المبطلين وممارسة الإكراه ضدهم فقالوا :﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ﴾ (الكهف:٢٠) .

٩ـ عيسى عليه السلام : حاول اليهود قتله وصلبه للتخلص منه ومن دعوته، لكـــن الله نجـــاه :﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ (النساء:١٥٧-١٥٨).

١٠. محمد رسول الله ﷺ : عندما حفلت سيرته المباركة بالأحداث العظام؛ إذ ما أوذي نبي مثلما أوذي، حتى رجم بالحجارة، فشكا ضعف قوته وقلة حيلته إلى الله سبحانه. (١).

وإن أصحاب رسول الله ﷺ عندما قادوا الفتوحات الإسلامية، وحملوا الحق والعدالة إلى الشعوب المقهورة، لم يكرهوا أهل البلاد المفتوحة على الدخول في الإسلام، ولم يهدموا كنيسة ولا صومعة، ولم يقطعوا شجرة، ولم يقتلوا شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً، ولم يتبعوا سياسة الأرض المحروقة لإرغام المتسلطين على التنازل عن عروشهم، بل قاموا بواجب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة قولاً وعملاً وسلوكاً، فأحبتهم الشعوب ودخلوا في الإسلام حباً وطواعيةً. غير أن أصحاب الباطل لما تمكنوا من الأندلس، أخرجوا المسلمين منها، وأكرهوا من بقي منهم فيها على اعتناق الملة الكافرة، والتخلي عن العقيدة الإسلامية الحقة، ومارسوا ضدهم أسوأ أنواع التعذيب في محاكم التفتيش ، ورفعوا شعار (دمروا الإسلام أبيدوا أهله).

(١) زاد المعاد في سيرة خير العباد لابن القيم ١٨٩/١ ط المكتب الاسلامي ١٩٩٨ م

إن ما يستفيده المسلم من ذلك هو ألا يستخدم الإكراه مع أحد لإلزامه بالعقيدة واتباع الحق، لأن العطشان لا يحتاج إلى إكراه ليشرب الماء الزلال، والجائع لا يحتاج إلى إكراه ليأكل الطعام الطيب الشهي.

والمسلم عليه أن يقدم الإسلام للناس بحقيقته وجوهره

الخاتمة :

وبعد أن انتهينا من هذه الاطلالة السريعة حول هذه السورة المباركة نكون قد وصلنا إلى النتائج التالية :

١- اشتملت هذه السورة الكريمة على معجزة حسية لا تقل أهمية عن المعجزات المعنوية التي أيدت النبي صلى الله عليه وسلم في دعواه كما هو الحال في حادثة انشقاق القمر له صلى الله عليه وسلم

٢- هذه السورة المباركة من قسم المفصل من أقسام القرآن الكريم والذي فضل به النبي صلى الله عليه وسلم وقد اشتملت على موضوعات متناثرة في شتى السور القرآنية لكنها تميزت بعرضها الخاص ممايجعلها جديدة كل الجدة فهي تعرض الموضوعات في صورة عنيفة عاصفة، وحاسمة قاصمة، يفيض منها الهول، ويتناثر حولها الرعب، ويظللها الدمار والفزع.

وأخص ما يميزها في سياق السورة أن كلاً منها يمثل حلقة عذاب رهيبة سريعة لاهثة مكروبة، يشهدها المكذبون، وكأنما يشهدون أنفسهم فيها، ويحسون إيقاعات سياطها، فإذا انتهت الحلقة وبدأوا يستردون أنفاسهم اللاهثة المكروبة عاجلتهم حلقة جديدة أشد هولاً ورعباً .

المـراجـــع

١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين البيضاوي، ط: الحلبي، د.ت.
٢. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت . د.ت
٣. تاج العروس، المرتضى الزبيدي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
٤. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ط : دار السداد التونسية، ٢٠٠٠م .
٥. جامع البيان في تفسير القرآن للطبري، المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٣٠هـ مصورة .
٦. الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد القرطبي، ط: دار الحديث بالقاهرة، ١٩٩٤م .
٧. جمهرة اللغة، ابن دريد، تحقيق: رمزي البعلبكي، ط: ١، دار العلم للملايين ، ١٩٩٢م .
٨. روح المعاني، شهاب الدين الألوسي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت .
٩. سورة القمر، دراسة أسلوبية، د. عبد الحميد يوسف هنداوي، مجلة جامعة الطائف، المجلد الأول، العدد الثاني، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م .
١٠. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، ط: ٣ ، دار الفكر، ١٩٧٣م .

١١. القاموس المحيط، الفيروزآبادي ، ط: الرسالة، د.ت .
١٢. الكشاف ، عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، جار الله الزمخشري، ط: مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٣٩٢هـ .
١٣. المثل السائر، ابن الأثير، تحقيق: د. بدوي طبانه وزملائه، ط: دار نهضة مصر ، الفجالة القاهرة ، ١٩٨٩م .
١٤. المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده المرسي الضرير، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ .
١٥. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت ، ط١٤١٥هـ .
١٦. مدرسة الأنبياء، عبر وأضواء، محمد بسام رشدي الزين، ط: دار الفكر المعاصر، دمشق، سورية، ط٢: ٢٠٠١م .
١٧. معارج التفكر ودقائق التدبر، د. عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني، ط:

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٢٤١
أسباب اختيار الموضوع	٢٤٢
أهداف البحث	٢٤٢
التمهيد : التعريف بسورة القمر	٢٤٥
الفرع الأول : نزول السورة وعدد آياتها وفضلها	٢٤٥
الفرع الثاني : موضوع السورة وهدفها العام	٢٤٧
المبحث الأول : تقرير البعث والجزاء وتأكيده والدروس المستفادة	٢٥١
المطلب الأول : انتقاء الكلمة المناسبة وتوظيفها للدلالة على المعنى المقصود.	٢٥٢
المطلب الثاني : التراكيب والأساليب البلاغية المسندة وأثرها في إبراز المعنى المقصود .	٢٥٨
المبحث الثاني : ترهيب المكذبين بالبعث .	٢٦٢
المطلب الأول : انتقاء الكلمة للدلالة على المعنى المقصود .	٢٦٢
المطلب الثاني : التراكيب والأساليب البلاغية المسندة وأثرها في إبراز المعنى المقصود .	٢٦٥
المبحث الثالث : بيان حال المكذبين من الأمم السابقة وسوء العاقبة.	٢٦٦
المبحث الرابع : ترهيب الكافرين وتخويفهم بعاقبة المكذبين من قبلهم، الآيات من.	٢٦٨
التحليل الأسلوبي للوسائل التعبيرية في الآيات	٢٦٨
المبحث السابع : العبر والأضواء من أخبار الأمم الماضية .	٢٨٥

المطلب الأول : عبر وأضواء من قصة نوح عليه السلام وهلاك قومه ومن كتاب مدرسة الأنبياء ، الآيات من.	٢٨٥
المطلب الثاني : عبر وأضواء من قصة هود عليه السلام وهلاك قومه ، الآيات من.	٢٨٧
المطلب الثالث : عبر وأضواء من قصة صالح عليه السلام وهلاك قومه، الآيات من.	٢٨٩
المطلب الرابع : عبر وأضواء من قصة لوط عليه السلام وهلاك قومه ، الآيات.	٢٩٦
المطلب الخامس : عبر وأضواء من قصة إهلاك فرعون وآله ، الآيات.	٣٠٠
الخاتمة	٣٠٤
المراجع	٣٠٦
الفهارس	٣٠٨